4

في الكافي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال في بعض خطبه ايها الناس اعلموا انه ليس
بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه الناس
ابناء ما يحسنون وقدر كل امرئ ما يحسن فتكلموا في العلم
تبين اقداركم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربع المهلكات وهو الربع الثالث من كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء من البيضاء والاسناد المعدام في الاستغناء من عيون صادرة بروية عن اكدار البدع والاهواء ماثورة عن خزنة الوحي وموارد العدل ومشارع الضياء الذين هم للدين اسناء وللطراز المبتر رفاء اسكنهم من لسجية ناضرة الرواء كتبها مؤلفها بانامل المحصنة لجملة الحياء الحرملة العطاء ستعاه الله بكاس الكرام عليه في جنة الزلفه لعله تتبوء منها حيث ليشاء ثم عملت تصحيحه ودراسته قراءة على كتبه لا زال من البدو الى الانتهاء يذكره لمن اهله الله للاستفاع به من المتاهضين بجناح التيقظ والدهاء وهذا الربع مشتمل كاخويه الثلثة السابقة عليه واللاحقة على عشرة كتب لامعة الاضواء كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب كتاب كسر الشهوتين كتاب آفات اللسان كتاب ذم الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال كتاب ذم الجاه والرياء كتاب ذم الكبر والعجب كتاب ذم الغرور وكتب الامر الى رحمة الله في السراء والضراء المعتصم بحبل الرجاء في الشدة والرخاء عبده محمد المدعو علم الهدى بن محمد المحسن بن مرتضى حامدا لله على حسن البلاء ومسموع الآلاء مصليا على اهل بيت النبوة والاصطفاء حشره الله في زمرة المدعوين باسمائهم يوم الجزاء وسلك به سبيل التمسك بحبل متابعتهم ما اقام في دار الابتلاء انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء كيف يشاء لا يغره المنع ولا تكديه الاعطاء

هو الهادي

صورة ما كتبه الوالد العلامة رفع الله درجته وزاد اكرامه

المجلد الثالث من المحجة البيضاء في احياء الاحياء املاء العبد الضعيف محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني وهب الله العلم بما فيه كمال امانه لعلمه من خط يده

علم الهدى ابن ... ولده وارث العلوم ... نجاه ... وجوده ولطفه ... سبحانه

كتاب شرح عجائب القلب

وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الأحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاورين والموازرين مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين **اما بعد** فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع له وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المثاب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع لله بالحقيقة وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري على الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرف الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل بقلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان لا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى اسفل سافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري

على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الان من ذكر شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واخلاقه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام وبالله التوفيق **بيان معاني النفس والروح والعقل والقلب وما هو المراد بهذه الاسامي** اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشأوها الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفات ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ يدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركتها في الباطن مثاله مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار

وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو مدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني

لطيف انضجته حرارة القلب وليس غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون مرض الابدان فاما غرض اطباء الذين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهذا ايضا مشترك بين معاني و يتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان في الحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فالنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبساير المعلومات اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد صار يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه واله وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لابد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف

لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل العلمي وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها يتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب فكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله سبحانه وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى فلا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن نشير الان الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا هو معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهي اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله

خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل القلب الى الله تعالى ما لم يسكن بالموت البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الانسان الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه او يمكنه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجاذبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت له الاعضاء التي هي الات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو

الخيال

الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك من المحسوسات صح ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا ما خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب من الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم ان شاء الله

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في ارائه ساعة وكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشاراته على ان الصواب نقيض رايه وادب صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا امرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسبب ذلك فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان يقلل مرتبة الغضب

علوا له بخلابه الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى فمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه واله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال لجهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة عليه خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه **بيان خاصية القلب للانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذا الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه وقدره واستاهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة

الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليهما والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جملة من العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ويكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي صلى الله عليه واله وسلم الذي ينكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي صلى الله عليه واله ونصدق بوجود ذلك ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف العاقل ما انفتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله

وما يمسك فلا مرسل له من بعده

للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير مضنون بها على احد ولكن انما يظهر للقلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله كما قال صلى الله عليه واله وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلوب وتزكيتها عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتى بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه واله ينزل الله تعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه واله وسلم حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم اشد شوقا وبقوله عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وكل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاوانى فما دامت ممتلاة بالماء لا يدخلها الهواء فكذلك القلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة وان اشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فبذلك كمال الانسان وفي كماله سعادته واصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص الفرس عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان بطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور وهي خاصيته وتلك الخاصية هي من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملائكة والبهائم فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا ربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور او شرها كخنزير او ضاريا ككلب او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله كما سياتى بيان طرف منه في كتاب الشكر ان شاء الله فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا طريقه

والبدن

والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارائيح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول وقال على عليه السلام في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسرها فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهذه اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قيل معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقيل في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله

اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور

كلها والتفرد بالربانية والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطنة فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع و يظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري او الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لايزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر و يحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدال الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلايزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير و يرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج و منافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه و كوشف بحقيقة حاله ومثل حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرای نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهواته او راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه

الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلثة فلاجرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طبعا فيه ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه و الاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته و لاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مراة القلب جلاء واشراقا و نورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه واله وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولايزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران والسنة اقول روى زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فان اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابدا وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعنه عليه السلام ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح يزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وانما قال الى يوم القيمة لان القلب بهذا المعنى لا يخرب بخراب البدن قال ابو حامد وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح ثم يتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة** اعلم ان محل العلم هو القلب واعني بالقلب اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة تنطبع في المراة وتحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مراة القلب وتتضح فيها وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المراة غير فهي ثلثة امور فكذلك هيهنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشياء وحصول نفس الحقايق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم عبارة عن حصول العلوم في القلب كحصول المثال في المراة فكما ان المراة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن جهة الصورة

الى غيرها كان تكون الصورة وراء المراة والرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة رؤيتها حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها بهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذات القلب كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه الثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي يحصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ غايته ان يتبع الذنب بحسنة تمحوه فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران مبين ونقصان لا محالة فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي لم تدنس اصلا وتمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه واله وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق ولا يحاذي بمراته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقايق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق افات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او في مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا من انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف لا تمنع من الكشف الحقيقي الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به قد حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقايق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم

التى يناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه فى المراة فانه ان رفع المراة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مراة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع صورة القفا فى المراة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المراة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها انعطافات وتحريفات اعجب مما ذكرنا فى المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق لانه امر ربانى شريف وانما فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه واله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اين الله فى الارض او فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وفى الخبر انه قيل للنبى صلى الله عليه واله وسلم من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال على

راى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها كعرض السموات والارض واما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله سبحانه وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض الثانى ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام السابقة والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ويتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصدق بكون زيد مثلا فى الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه بالخلاف فى القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكما سمعوا قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوا لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الاخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوه من ابائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لانهم القى اليهم كلمة الحق الدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته فى الدار ولكن من وراء جدار فتستدل

بذلك على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك ان زيدا في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذا الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف ايضا بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الدرجة الثالثة ان تدخل الدار وتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون عنهم بمزية يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثالها ان تبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل لك ادراكه والاخر تدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا توخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت ولا كيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه العلوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت له ولا من اين حصلت اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي عليه السلام رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه واله وسلم ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه واله وسلم لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب اليه انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب

بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي عليه السلام هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من الله تعالى والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في الاعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه ما تهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله سبحانه لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما ان ذاته ليست من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم عليه السلام حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليها ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان

العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما امر غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير بذلك وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فيعثر فيها بالاواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك والعجب منك انك لا تحمل عثرتك على عماك وانما تحملها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية فاما العلوم العقلية فتنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم بالله تعالى وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى يتعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي عليه السلام للدنيا والاخرة بثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم اكثر اهل الجنة البله اي البليد في امور الدنيا وقال بعض السلف ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء عليهم السلام المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة

تحيلها

الالهية

الالهية فقلوبهم يتسع لجميع الامور ولا يضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها اذا اشتغلت بامر انصرفت عن الاخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق المجاهدين في استكشاف الحق وطريق النظار في الاكتساب

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال يختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء عليهم السلام والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان يتجلى فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيمة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب ريح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتكشف الحجب عن اعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فينكشف فيه ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا قد ينقشع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل المجاهدة الى العلوم الالهامية دون التعلمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم فاذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت

وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالات فيه حقايق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشفت لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علايقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى من كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قران ولا بالتامل في تفسير ولا بكتبة حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله له من رحمة فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فيلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وخلقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذووا الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حاله فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال صلى الله عليه واله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل و

عرض

يمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح فيها فكم من مجاهد سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه واله وسلم لم يتعلم ذلك ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فيقول انا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك **بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس** اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحواس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن ادراكه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين **احدهما** انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار يفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسة مثل الانهار ويمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ويرفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت كيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض ثم بقي هو لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق

للعالم الموجود في نفسه خارجا عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في
اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده
الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال
ويتبع وجوده في الخيال وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية
وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية
اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها
ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك
فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب
في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها
وعجايبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من
اقتباس الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها
وتارة من النظر الى الماء الصافي الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح
المحفوظ راى الاشياء فيه وينفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس فيكون ذلك
كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة
اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى
الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت
وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة
والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى
عليك واما انفتاح بابه الداخلاني الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل
في عجايب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة
الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال النبي صلى الله عليه واله وسلم سبق المفردون
قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم
قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه
ثم قال عز وجل اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه
الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الانبياء والاولياء عليهم السلام وبين علوم الحكما والعلماء

هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي من
ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا
يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك
الفرق بين العملين اعني عمل الاولياء وعمل العلماء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها
الى القلب والاولياء يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتزكيته وتصفيته وتصقيله فقط وقد
حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش فاستقر راي الملك
على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع
كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير
صبغ وجعلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فتعجب
الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا
جانبهم قد تلالات فيه عجايب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ صار جانبهم كالمراة المجلية
لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته
وصفائه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء باكتساب
نقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل اهل الروم وكيف ما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه
عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا ينكدر واليه اشار من قال التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلته المقربة
الى الله تعالى اما ما حصله من نقش العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نقش العلم فلا
سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم
غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت
درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم
قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم
يعطى نورا اصغر منه حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضيء مرة وينطفي اخرى فاذا اضاء
قدمه قدمه تمشي واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم ومنهم من يمر كطرف العين ومنهم من
يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي
نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق اخرى وتجر رجل وتعلق اخرى
ويصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان

فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان فان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار ولو دخل لامر باخراجه اولا فان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه واله وسلم ليس شيء خير من الف مثله الا الانسان او المومن اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المومن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد هيهنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمن سبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه واله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على ساير الكواكب وقال صلى الله عليه واله وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من بخس حظه منه قال الله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل المجاهدة في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتادة

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم من عمل بما علم ورثه الله

علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان اكثر قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في دعائه سؤال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي نورا وسئل صلى الله عليه واله وسلم عن قوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقيل ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه واله وسلم هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه واله وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي عليه السلام ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه واله وسلم الينا الا ان يوتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله عز وجل وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه واله وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم يوقنون وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو قال هو سر من سر الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب احبائه لم يطلع عليه بشرا ولا ملكا وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وقرا ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى مثله الاشارة بقوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضه بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي

ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد الشرع والنقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم اقول وقد ظهر على الائمة المعصومين من اهل البيت عليهم السلام من ذلك شيء كثير كما هو مذكور في كتاب الحجة من الكافي للكليني رحمه الله وفي كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وكتاب الخرايج والجرايح للراوندي وكتاب كشف الغمة للاربلي وغيرها من الكتب المصنفة في ذلك من تفرسهم عليهم السلام واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم ومشاهدتهم الخضر عليه السلام والحديث معه وصحبتهم للملائكة وتحدثهم معهم وتسخيرهم للجن وبعثهم اياهم في حوائجهم الى غير ذلك من فنون الكرامات وقد ذكرنا نبذا منها في كتاب اخلاق الائمة من بدع العادات ومن الاخبار النبوية في هذا المقام ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب اوليائه وانطق به على لسانهم العلم علم الله لا يعطيه الا لاوليائه الجوع سحاب الحكمة فاذا جاع العبد مطر بالحكمة من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ما من عبد الا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره قال ابو حامد والحكايات لا تنفع الجاحد ما لم يشهد ذلك في نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من متيقظ غائص الفكر لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه واله وسلم عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبياء عليهم السلام وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجايب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة

فلنقتصر

فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها **بيان تسليط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها** اعلم ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما يكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم ويحرك العزم النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله عز وجل في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله

تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال صلى الله عليه واله وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية وقال بعض السلف انما هما همان يجولان في القلب هم من الله وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان للعدو جاهده ولتجاذب القلب بين هاتين اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه وتعالى منزه عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم تنقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله عز وجل اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعوه الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وملكوها فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدا استيلا

اتباع

اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى اذ هو مطرح اثر الملائكة قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله سبحانه هو الذي يومن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة به والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله سبحانه استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وفي الحديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح

فصل وكان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن

عن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك ونساءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا وله شيطان وقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل في بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضراوتها واشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فصادفة الخواطر الباعثة على الشر وقد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله تعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته و حقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله عز وجل

تقدم

تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولكن لا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وينسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب

بذكر الله سبحانه ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى الاسباب بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه مكره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام يجرى الدم فى بدنه فانه مادام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل لبعض السلف اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا عنه راحة فاذن لا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره فى السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبنى بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم ترصد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه فى غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذا الكثير فالعبد فيه مثاله مثال المسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يفلح الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة فالعين البصيرة هيهنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم فبهما يهتدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يعنى تلك الخطوط فبين صلى الله عليه واله وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذى لا يخفى الا ان يضطر الادمى الى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتى بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه فقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتاك اهلها فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم

ودانا مثل الجوز

يبقى

فاتوا

والقى

والقى فى قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده ففتشوا فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت فى قلوب اهلها فاطعنى تنج واخلصك منهم فقال ماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين وهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك فانظر الان الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابواب الحصن من العدو من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا يضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن ابوابه العظيمة** الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على شئ اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه واله حبك الشئ يعمى ويصم ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روى ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر وحمل فى السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال نوح عليه السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معى وابدانهم معك فقال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم قال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالاثنين فقال هما الثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخلفانى بهما اهلك الناس الحرص والحسد بالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتى منه بالحرص **ومن ابوابه العظيمة** الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان

لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روى ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد التوبة فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فمره ان يسجد لقبر ادم فلقي موسى عليه السلام ابليس فقال له أمرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا فكيف اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتى ولد ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء عليهم السلام لابليس باي شيء تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه **ومن ابوابه العظيمة** حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال الشيطان يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستخره فيها طول عمره واذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض ولا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه **ومن ابوابه العظيمة** الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روى ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى عليه السلام يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها بني ادم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال يحيى لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا **ومن ابوابه العظيمة** الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل في الوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم

ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال تنظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله شيئا سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت **ومن ابوابه العظيمة** العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله عز وجل وقال تعالى خلق الانسان من عجل وقال وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه واله وسلم ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست روسها قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جال خافقي الارض ولم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة **ومن ابوابه العظيمة** الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار فلا يكفيه مائة واحدة بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالان وجد مائة وظن انه صار غنيا به فصار محتاجا الى تسعمائة ليشتري بها دارا او يعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم ولا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه واله وسلم فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فينمحي ذلك قال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسد فلا يزال يدعوه الى النوم الى ان يتوسد ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته للنوم هذا في حجر فكيف من يملك المخاد

شلوه على طر تو اسعت من قبله مائة شهوة يحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار ح

الوثيرة والفرش الوطئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكانزين كما نطق به القران قال خثيمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ماغلبنى عليه ابن ادم فلن يغلبنى على ثلث ان امره باخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقيل ليس للشيطان سلاح على الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن افات البخل الحرص على ملازمة الاسواق بجمع المال والاسواق هى معشش الشيطان روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال فاجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى موذنا قال المزامير قال اجعل لى قرانا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصائد قال النساء

ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن فى الغير والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة فى طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشيطان ترى الواحد منهم يتعصب لعلى عليه السلام وكان من زهد على عليه السلام وسيرته انه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب على عليه السلام ويدعيه وهو اول خصمائه وليت شعرى من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه وحيوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى على عليه السلام من الاهل والولد بل من نفسه عليه السلام والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند على عليه السلام وعند اولياء الله تعالى بل لو كشف الغطاء وعرف هولاء مايحبه اولياء الله فى امة محمد صلى الله عليه واله لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لعلى عليه السلام فالنار لايحوم حوله وكل من ادعى مذهب امام وهو ليس بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فمالك

خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مسلكى ومذهبى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله ثم ادعيت مذهبى كاذبا اقول ومما ورد فى ذلك من طريق الخاصة ما رواه فى الكافى باسناده عن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال قال لى يا جابر ايكتفى من انتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وماكانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلوة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القران وكف الالسن عن الناس الا من خير وكانوا امناء عشائرهم فى الاشياء قال جابر يا ابن رسول الله مانعرف اليوم احدا بهذه الصفة فقال يا جابر لاتذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول احب عليا واتولاه ثم لايكون مع ذلك فعالا فلو قال انى احب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فرسول الله خير من على ثم لايتبع سيرته ولا يعمل سنته ما نفعه حبه اياه شيئا فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله واكرمهم عليه تعالى اتقاهم واعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لاحد من حجة من كان لله مطيعا فهو لنا ولى ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع وقد ذكرنا هذا الحديث فى كتاب العلم من ربع العبادات وفى كتاب اخلاق الامامة واداب الشيعة من ربع العادات ايضا وانما اعدنا ذكره هيهنا لشدة مناسبته لهذا المقام وشدة احتياج اكثر الناس اليه وباسناده عن حنان بن سدير قال قال ابو الصباح الكنانى لابى عبد الله عليه السلام ما نلقى من الناس فيك فقال ابو عبد الله عليه السلام وما الذى تلقى من الناس فىّ فقال لايزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول جعفرى خبيث فقال يعيركم الناس بى فقال ابو الصباح نعم قال فما اقل والله من يتبع جعفرا منكم ان اصحابى من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه هولاء اصحابى وباسناده عن ابى الحسن الاول عليه السلام قال كثيرا ما كنت اسمع ابى يقول ليس من شيعتنا من لا يتحدث المخدرات بورعه فى خدورهن وليس من اوليائنا من هو فى قرية فيها عشرة الاف رجل فيهم خلق لله اورع منه قال ابو حامد فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال بعض السلف بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون الله منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لايعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل

الى الناس

الهوى والشيطان

يوم القيمة

الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال ابن مسعود قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يقطع فاتى فرقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم **ومن ابوابه العظيمة** حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم لم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور ومتبجح بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقويهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء روى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله تعالى وبرسله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه واله وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم وبمعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي لو زنا او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا حصر لها وانما قصدنا بما اوردناه المثال **ومن ابوابه** سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم احترز منها روى عن علي بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله افنظن بك الا خيرا قال ان الشيطان ليجري من بني ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ~ وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا • فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم القلب في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله

فصل فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا واخصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان مثل كلب جايع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر عنك بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب ولم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان وذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وساير الاخبار والايات الواردة في الذكر فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما يندفع عنهم كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء يخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا من غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك

فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك فراقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك ولا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فيها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اى انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى الله بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه فلا يستجيب لك فكذلك يذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم بعيوبكم وراء ظهوركم وفتحتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم **فصل** فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كما يقال كل البقل من حيث تؤتى به ولا تسال عن المقبلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسمائهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم اما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة

وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان ادم عليه السلام لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال الله عز وجل اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال الله عز وجل باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته على الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله لا يولد له ولد الا ويولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال تعالى اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم معصومون مثلك لا نقدر منهم على شيء **فصل** فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا راى صورته فهي صورته الحقيقية او هو مثال له تمثل به وان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة كما راى النبي صلى الله عليه واله وسلم جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين وذلك انه صلى الله عليه واله سأله

ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع له جبرئيل عليه السلام فسد الافق من المشرق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي ينتهي الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارج وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبيه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته للتحقيق فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته من الوجه الذي صح يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجه القلب الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه ايات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء

بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال عنه صلى الله عليه واله وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة وان هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن احدهما عليهما السلام قال ان الله تعالى جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن عمل بها كتبت عليه سيئة **قال ابو حامد** فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال سبحانه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فالحق في هذه المسألة عندنا انه لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع والاول يسمى حديث النفس الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربع احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار وهما

المرادان بقوله صلى الله عليه واله وسلم عفى عن امتى ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تجرى في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته في كل يوم لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور فيها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ لم يكن معها عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل لعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف يكتب له حسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتب حسنة واما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار والمؤاخذة به تكليف

ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه واله وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول علم انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية **قال ابو حامد** فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ومن لم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اي مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختياره على غير محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار وكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم التقوى هيهنا واشار الى القلب وقال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب وقال صلى الله عليه واله وسلم الاثم حواز القلب وقال صلى الله عليه واله وسلم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه كان له ثواب بفعله فان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال اذا ذكر الله خنس الشيطان والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلها ولكن يجري في القلب ولا يكون لها اثر لان القلب اذا صار

مستوعبا بالذكر صار محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمّه فانه قد يكلم فلا يفهم وان كان الصوت يمرّ على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبتها للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عقد الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة فيظن لتقاربها انها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا اديرت بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع كما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد من الفرق الى صنف واحد من الوساوس فاخبر عنه والوساوس ثلثة اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في علمه وعمله ويقول له اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعرف العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسواسه بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا

عند الذكر

الصبر على

على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه واله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدوه وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد او محال ولا ينقطع وسوسته عن عروض الدنيا ونقدها الا بالزهد والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن التفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن انه لا يقع الذباب عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم عليه ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منها الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرنا تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فيغير وصفه فان نزل الشيطان به ودعاه الى الهوى والتفت القلب اليه نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عظيم صنع الله في عجايب القلب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول صلى الله عليه وآله وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل القلب كمثل ريشة في ارض فلاة يقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات من عجيب صنع الله وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدى اليه لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر من خبائث الاخلاق فتنقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لابد من فعله ويستحثه عليه ويدعو الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتحة فيه ابواب الشياطين المسدودة عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له في موافقة الهوى ومساعدة فيستولي النفس له ويساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان

الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى ينطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان تنظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة في القلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه الى آخر الآيتين وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم الى قوله ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فتنسى منه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفئ منه انوار البصيرة فينطفئ منه نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب يبتدئ فيه خواطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعية الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان فيقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك

ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب على القلوب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او مع حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزائن القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله تعالى رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله وبهذه الحيل وما يجري مجراها يوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعصية وعرف الخلق علامات اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون و لنقتصر الان على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار المعاملة وعلومها واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى

هذا اخر كتاب شرح عجائب القلب من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب والحمد لله اولا واخرا

وساعد الحزب الشيطان واوليائه

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة على محمد عبده ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره وتنكشف حقيقة الحق من مخائله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل ولم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هي المراد بقوله تعالى قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله عز وجل وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق

الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لاغير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق قال الله تعالى لنبيه وحبيبه صلى الله عليه واله وسلم مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة كان خلق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم القران وسال رجل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه واله وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه واله وسلم اثقل ما يوضع في الميزان تقوى الله والخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم فقال سوء الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني خالط الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول افضل ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه واله وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انك لامرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن

خالق

اقول

البراء

٢٩

البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم احسن الناس خلقا واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول اللهم قد حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه واله وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه واله وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه واله وسلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم اليمن حسن الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه واله وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى درجة الظمان في الهواجر وقال انس قال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال صلى الله عليه واله وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه واله وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم اقول وقد ذكرنا الاخبار في فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق من طريق الخاصة في اول كتاب اداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات فلا نطول الكلام باعادتها الاثار قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابه اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه هذه الخمس فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بري وقيل من ساء خلقه عذب نفسه

وجها

قال الحسن

وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الى من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ابكي رحمة عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى محمد صلى الله عليه واله وسلم واقرب الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول بعضهم حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والروح المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة

لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر عنه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس وبها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريا وليس هو عبارة عن القدرة لان نسبة القدرة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة العقل والدين واما قوة العدل فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العقل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي ينفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان

وهو العدل

سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فتسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطاء في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا افات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحة والقناعة والورع والامانة والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الصفات والفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه واله وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جميع هذه

الاخلاق

الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان المبعد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه واله الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى هذه الاخلاق كما قال وقد اشار القران في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله به الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته وزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير فاستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك الخلق الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقلع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل من الصيد الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير

تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وانقيادهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة فى اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبى فى مبدا الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز و السبب الثانى ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغافل الذى لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقى كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره فى عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه وظيفتان الاولى قلع ما رسخ فى نفسه من كثرة التعود للفساد والاخرى ان يغرس فى نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضه ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد فى الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى على ذلك فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان يكون مع وقوع نشوه على الراى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفى مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب والاول من هولاء جاهل فقط والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر الذى استدلوا به وهو ان الادمى مادام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبلة لو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقى اصل الشهوة فيبقى لا

محالة حب المال الذى يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما يصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان غضبه لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما يستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذى يدل على ان المطلوب هو الوسط فى الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والخمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى فى الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما بينهما اى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكمال القلب فى ان يصفو عن الوصفين جميعا فاذا لم يمكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما كانه خال عن الوصفين فكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والخمود وكذلك ساير الاخلاق فكلا طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له فى شىء من ذلك لانه لو رخص له فى ادنى شىء

حريصا على امساكه وكلامه

منه اتخذ ذلك عذرا فى استيفاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قلع الاصل و بالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مودب متادبا كعيسى ويحيى عليهما السلام وكذا سائر الانبياء عليهم السلام و لا يبعد ان يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة واعنى بها حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب ومن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذلك من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه و جميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية فى النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جعلت قرة عينى فى الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير و لكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه واله وسلم اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة

ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله و لذلك كره الانبياء والاولياء عليهم السلام الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى القلب وانما تتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شىء احب اليه من الله سبحانه ومن لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يوصله الى الله سبحانه وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به و ملتذا ولا ينبغى ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب اعجب من ذلك فانك ترى الملوك والمتنعمين فى احزان دائمة وترى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله و اخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه ورده نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء وعودها بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه حتى يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته عارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى

الطعام والشراب وهما سبب حيوتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة له نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الى ذلك الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة لتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا يوجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى يانس القلب بالكسل ويهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك صغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة او يتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير

طالب

وهم

ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي عليه السلام الايمان يبدو في القلب لمعة بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذن قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسترق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة لها وجلبها اليها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما يعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعود والتعلم يكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صحتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل مرض القلب اولى فان مرض البدن يحصل منه الموت ومرض القلب والعياذ بالله يحصل منه عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد

نكتة

وتارة بمشاهدة لارباب الافعال الجميلة ع

المغيرة ع

مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال ع

وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولابد من معيار يعرف به مقدار النافع منه والضار فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لابد من عيار وكما ان عيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي سنه وحاله ومزاجه وما يحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته اقول ثم شرع ابو حامد في ذكر جزئيات طريق تعليم الشيخ للمريد ولما كان بناء اكثرها على ايجاب متابعة من يجوز عليه الخطا وعلى بدع اخرى تخالف طريقة اهل البيت عليهم السلام كما ياتي بيانه طويناها على ان ما لا باس به من ذلك كان مما تكرر ذكره في كلامنا سابقا ولاحقا

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة

اعلم ان كما ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليدان يتعذر عليهما البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب هو ان يتعذر فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية فمن كان عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه

فلذلك

فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح من البدن وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء والمرض قد استولى عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرايات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله فانما علاجه ببذل المال وانفاقه لكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط من ذلك وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك ولا الامساك على البذل فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى يرتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله سبحانه في كل يوم سبع عشر مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم اذ قد وجبت قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة فراى بعضهم رسول الله

واكثر بالكلية طب القلوب

ع ايضا داء بل

في الدنيا جار على مثل هذا الصراط ... ما سيلقى العبد ... عن الصراط المستقيم

صلى الله عليه واله وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله قد شيبتني سورة هود فلم قلت كذلك قال صلى الله عليه واله وسلم لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء الطريق في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب **بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه** اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق **الاول** ان يجلس بين يدي بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان بعضهم يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو اصدقاؤك عن حسود وصاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني ذنوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينبهوا على عيوبهم بنصيحة غيرهم وقد ال الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك من ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث** ان يستفيد معرفة عيوب

نفسه

نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وما يراه محمودا يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مراة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حال من فقد شيخا زكيا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات** اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجات كما ان للعلم درجات والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروي ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه واله وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر فقال جهاد النفس وقال

صلى الله عليه واله وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى الله عز وجل وقال صلى الله عليه واله وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتامن بوائقها فى سائر الايام وتصفيها من ظلم شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا فى حب شهواتها مسجونا فى سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة تصير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى يصير العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال على عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الاخرة لا يتم الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا يتمتع النفس بشيء مما لا يوجد معها فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منها انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الاخرة بحال ولا خلاص عنه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوائق الفكر والذكر فقط فمن لا يقدر على حقيقة ذلك فليتقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله عز وجل ذكر فى قلبه الا من حيث

حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر قوة غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سببا للبعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم يمتنع النفس من التنعم من المباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتاد العين رمى البصر الى كل شيء جميل لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذى يشتهى به الحلال هو بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام وان لم يتعود الاقتصار على قدر الضرورة فى الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى افات المباحات ووراء هذه افة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ممتلية بها كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك لان الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الحزن والخوف وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم فى حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب فى عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والاخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تاديبه ونقله عن توشه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا فى بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع

والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعا ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه في البداية اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يكثر بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبة الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء ينفر من السرج واللجام والركوب ولكن تحمل عليه قهرا وتمنع عن الانسراح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث يترك في موضعها فيقف من غير قيد فكذلك يؤدب النفس كما يودب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال لها احببي ما احببت فانك مفارقته فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه وشغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغير ذلك شهرا ليتنعم به سنة فكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلابد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطرق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل احد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضا والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو له في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا الموت والسلام **بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه واذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي فربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلابد من ايضاح علامات حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم بها حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا

في الدنيا

ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنة وساته سيئة فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا شتاما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن امن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذب برداءه صلى الله عليه واله وسلم جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت عنق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه

رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فضحكت ثم امر له بعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وروى ان عليا عليه السلام دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله اقول ثم ذكر ابو حامد حكايات عن الصوفية زعم انها تدل على حسن اخلاقهم بتذليل انفسهم للناس وقد عرفت من طريق اهل البيت عليهم السلام ان الله لم ياذن لعبده ان يذل نفسه فلا حاجة بنا الى نقلها وقد ذكرنا في كتاب اخلاق الامامة واداب الشيعة من ربع العادات من اخلاق اهل البيت عليهم السلام وكلماتهم عليهم السلام في محاسن الاخلاق وصفات المؤمنين ما فيه بلاغ لقوم عابدين وكذا في كتاب اداب الصحبة والمعاشرة من ذلك الربع وافعال اهل البيت واقوالهم عليهم السلام هي الحجة والقدوة في كل باب والله الموفق بيان الطريق

في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومايل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلم نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض

الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين تعودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى لاجل ذلك بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشف به ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا احد فتفتضح بين يدي الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه او دواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا فيه بدالة حشمته ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في العطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ

ص ٢ — ع انظر س ٣ ... الف ٣٣ کم

الطمع مهانة ومذلّة وان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من افة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتمطط ولا يتثاب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل على الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وان ذلك فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا او كذبا حتى لا يتعود في الصغر ويمنع من ان يبتدى بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع المكان له ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فانه يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومودبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويومر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الاخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت ينتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعمته فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا موثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر

وانما

وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الارادة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليه سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله ورسوله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة المذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظايف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فيرجع مجامعها الى رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له

الرياضة

سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده بما الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا اقول هذا انما يصح على مذاهب العامة حيث يتعصبون في الاصول للاشعري والمعتزلي ونحوهما من اهل الاراء وفي الفروع لابي حنيفة والشافعي وشبههما من اصحاب الاهواء واما على مذهبنا الحق من وجوب التمسك بحبل اهل البيت عليهم السلام الذين هم مشايخنا وحصوننا فالانتماء اليهم شرط الاهتدا لاحكام الدين والتعصب لهم يزيد السالك في سلوكه يقينا الى يقين قال واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لا يعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة بامتثال الاوامر والانزجار عن النواهي ثم الترقي الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة كان حينئذ كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به وكذلك المريد يحتاج الى شيخ و استاد يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة من غير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب اقول اذا جاز على الشيخ الخطا فربما يكون افساده اكثر من اصلاحه بل الحق انه لا يجوز الاعتماد في الاعتقاد والعمل الا على معصوم من الخطا والزلل عرف عصمته من الله عز وجل وليس الا ائمتنا عليهم السلام ثم من اذن لنا في الاخذ عنه من شيعتهم الاخذين عنهم ومن محكاتهم قال الصادق عليه السلام اياك وان تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه في كل ما قال وقد ورد عنهم في الاداب والسنن وكيفية السلوك في كل امر ما يغني عن كثير مما سرده ابو حامد ولله الحمد قال فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر فهذه تحصن من القواطع

اولامر

فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفواد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون حينئذ سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب او تدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال ما هو اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن له مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جمال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المدثر يا ايها المزمل فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلايق التي قطعها في اول الارادة واثارها اعني

اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة هو مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره واذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة فلم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علايقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد فيها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا لا اله الا الله او الله الله او سبحان الله او ما يامره الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه ويكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كله ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر يفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات

الى

الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينبغي ان ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه ان تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد فلم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم عليكم بدين العجائز وهو يلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق قال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق وقال قلت له مرة اخرى دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على الدوام هذا ما لا يكون ابدا اقول قد اطال ابو حامد في كلامه الخوض في اودية الضلال وادعى جواز ما هو من قبيل المحال على انه ابداء شريعة واحداث بدعة شنيعة مع اشتماله باعترافه على المهالك والمفاسد التي لا ينجو منها من الف الف واحد ولو كان طريق الى الحق

من هنا ... قال الف
٤٦

اهدى ما ارسل به نبينا صلى الله عليه واله لمجابه دونه لان شرعه خير الشرايع كما انه خير الانبياء وقد ورد في التنزيل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فلا محالة فيما جاء به كفاية للاهتداء وليس فيما جاء به شيء مما تكلفوه بل انما ورد النصوص على خلاف ماوضعوه اما رفضهم المال والجاه بالمرة فقد ورد الحث الاكيد على طلب الحلال واحراز قدر قوت السنة من المال وان من القى كله على الناس فهو ملعون ومن اذل نفسه فهو ملوم مطعون و انما المذموم حب المال والجاه لا احرازهما بقدر الضرورة من دون حب واما ترك التعصب فقد ورد ان افضل القربات الحب في الله والبغض في الله وان الدين انما هو الحب والبغض وما في معناه واما البيتوتة في بيت وحده فقد ورد ان الشيطان اجرى مايكون على الانسان واشد مايهم به اذا كان وحده واما الاقتصار في الاوراد على كلمة واحدة فقد ورد في فضل تلاوة القران والدعاء ماورد وان مخ العبادة الدعاء وطلب الحاجة الى الله هذا مع ماورد في فضل الجمعة والجماعات وبركة التزاور والاجتماعات و في الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة لا رهبانية في الاسلام وان من رهبانية امتي الصيام و في حديث اخر ان رهبانية امتي الجلوس في المساجد الى غير ذلك مما يباين طريقة هؤلاء فهؤلاء المبتدعون جمعوا بين الجهل وسوء الادب مع الله ورسوله اما الجهل فلكونهم ماعرفوا وجوه الحكمة فيما كلف الله به عباده من الاوامر والنواهي على حسب مايليق بهم وبما هو اوفق لافهامهم ولمزجتهم واما سوء ادبهم له سبحانه ولرسوله بما وضعوه من عند انفسهم مما زعموه طريقا الى معرفة الله وهم الذين رووا عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من احدث في ديننا ماليس فيه فهو رد وفي حديث اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وفي الخبر ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته ومثل الذين قالوا امثال الجاني على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا ثم مايقولونه لا يتم الا برفع الخواطر وهذا شيء ليس في وسع البشر ولا سيما العوام منهم قيل لمولانا الصادق عليه السلام ان لي اهل بيت قدرية يقولون نستطيع ان نعمل كذا وكذا ونستطيع ان لا نعمل فقال عليه السلام قل له هل تستطيع ان لا تذكر ما تكره وان لا تنسى ما تحب فان قال لا فقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه ابدا فقد ادعى الربوبية ولا يتم ايضا الا بمتابعة شيخ لا يخالفه في شيء مما ياتي به ويذر كما قالوا والشيخ جايز الخطا باعترافهم فانهم لا يشترطون العصمة فيه وعلى هذا فيجوز ان يكلف المريد بما فيه هلاكه في دينه او دنياه كما اعترفوا به ايضا ونحن

قد رأينا ذلك فمنهم من مات من رياضته ومنهم من فسد دينه ولهذا قال مولانا الصادق عليه السلام اياك ان تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه في كل ماقال وهذا احد معاني قوله سبحانه والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فان متابعة مثل هذا الشيخ المبتدع الذي لا يقول عن الله وجايز عليه الخطاء عبادة الطاغوت على انا نرى اكثر مشايخهم الذين سلكوا هذه الطريقة الشنعاء وحملوا الناس عليها كانوا في جهل وعمى من معرفة الامام مع ان بناء معرفة الدين علما وعملا على معرفة الامام المنصوب من الله سبحانه بالوحي وقد قال النبي صلى الله عليه واله في الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وعن الباقر عليه السلام كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا امام له من الله فسعيه غير مقبول و هو ضال متحير والله شانئ لاعماله ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها فهجمت ذاهبة وجائية يومها فلما جنها الليل بصرت بقطيع من غير راعيها فحنت اليها واغترت بها وباتت معها في ربضها فلما ان ساق الراعي قطيعه انكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها واغترت بها فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك فانك تائهة متحيرة عن راعيك و قطيعك فهجمت ذعرة متحيرة نادة لا راعي لها يرشدها الى مرعيها ويردها فبينا هي كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها وكذلك والله من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله ظاهرا عادلا اصبح ضالا تائها وان مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق واعلم ان ائمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا واضلوا فاعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد وعن الصادق عليه السلام والله لو ان ابليس سجد لله تعالى بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك و لا قبله الله تعالى ما لم يسجد لادم كما امره الله ان يسجد له وكذلك هذه الامة العاصية المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه واله وبعد تركهم الامام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه واله فلن يقبل الله لهم عملا ولن يرفع لهم حسنة حتى ياتوا الله من حيث امرهم ويتولوا الامام الذي امروا بولايته ويدخلوا في الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم فان قلت فما الطريق الى معرفة اسرار الدين وتحصيل اليقين فاعلم ان الله سبحانه جعلنا ازواجا وجعل لكل منا شرعة ومنهاجا وليس لعامة الناس ان يسلكوا مسلك الحكماء الالباء او ينهجوا منهج الربانيين من العلماء فان جناب الحق جل ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد والمؤمن الموقن اعز من الكبريت الاحمر ثم لابد لمن اراد الشروع في تحصيل العلم المكنون عند اهله المضنون به عن غير اهله ان يكون شابا صحيح المزاج ذكيا امينا عفيفا صدوقا مهذب الاخلاق بريا عن الرياء والنفاق مبغضا

لفضول الدنيا معرضا عن المكر والغدر والخيانة ونحوها معظما للعلم والعلماء مقبلا على الوظائف الشرعية فرايضها ونوافلها بعد ان تعلم احكامها وعرف حلالها وحرامها وكان قد اخذها عن اهلها امامها قال الصادق عليه السلام ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض فاذا سئل عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن عنده شيء ثم بعد ذلك كله اشتغل بتحصيل هذا العلم من طريقه وعلى وجهه بتقديم الاتيان بالفرايض ثم النوافل ثم مراعاة الاداب والسنن ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر ومداومة الفكر حب الميسور والتخلي عن الشهوات النفسانية والخواطر الشيطانية بالمقدور وجعل الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يعلمه شيئا فشيئا ومراقبة النفس انا فانا حتى يصير العلم عيانا له بعد يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين الى حق اليقين والعمدة فيه الزهد في الدنيا ومتابعة الشرع من طريق ائمة الهدى وملازمة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال امير المؤمنين عليه السلام ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الجبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قال ابو حامد فاذن منتهى الرياضة ان يجد المريد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا او نصحا او يتصدى للتذكير فيجد للنفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب

العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله عز وجل الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن يوازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه فالغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له اوائل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم في الطباع غالب على الانسان وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال سبحانه ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريدين وترتيبه في التدريج الى لقاء الله سبحانه اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في افة اللسان وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في ذم حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع ربع المهلكات ان شاء الله فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله والحمد لله رب العالمين هذا اخر كتاب رياضة النفس وتهذيب

الاخلاق ومعالجة امراض القلب من المحجة البيضا في احياء الاحياء

ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن و

الفرج والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

كتاب [كسر] الشهوتين شهوة البطن والفرج

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه وهو الذي يحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ودواعيه وكل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه ويبتغيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته والقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد** فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله ومشيته

فان اعظم

في فصول يجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم بيان القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد من ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل ملكوت السموات قلب من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال صلى الله عليه واله وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه واله وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه واله وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة تركها لاجلي الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد ان اقرب الناس الى الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله وافترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا تراهم الناس يظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولا خولطوا ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الدنيا ولهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما

فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تجوعهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمان فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله عز وجل وتروى ذلك عن نبينا صلى الله عليه واله وسلم وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارى السمين وفي حديث مرسل ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال المومن ياكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اى ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المؤمن وتكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعاء وليس المعنى زيادة عدد معاء المنافق على معاء المؤمن وعنه صلى الله عليه واله وسلم اديموا قرع باب الجنة يفتح قيل وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروى ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يمتل شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدى واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فان اصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فوالله ما استكملت بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب لنفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال اما والله انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال صلى الله عليه واله وسلم اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان ابغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة فيشتهيها الا كانت له درجة في الجنة

اقول روى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال كثرة الاكل مكروه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد وعنه عليه السلام قال ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا جف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله تعالى اذا امتلا بطنه وعنه عليه السلام قال قال ابو ذر رحمه الله اطولكم جشاء في الدنيا

اطولكم جوعا في الاخرة او قال يوم القيمة وعنه عليه السلام قال الاكل على الشبع يورث البرص وعنه عليه السلام قال كل داء من التخمة ما خلا الحمى فانها ترد ورودا وعنه عليه السلام قال ليس لابن ادم بد من اكلة يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح وعن ابي جعفر عليه السلام قال اذا شبع البطن طغى وعنه عليه السلام قال ما من شيء ابغض الى الله من بطن مملو وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال قلة الاكل محمودة على كل حال وعند كل قوم لان فيه المصلحة للباطن والظاهر والمحمود من الماكول اربعة ضرورة وعدة وفتوح وقوت فالضرورة للاصفياء والعدة لقوام الاتقياء والفتوح للمتوكلين والقوت للمؤمنين وليس شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما ملا ابن ادم وعاء اشر من بطنه وقال داود عليه السلام ترك اللقمة مع الضرورة اليها احب الي من قيام عشرين ليلة قال النبي صلى الله عليه واله وسلم المومن ياكل بمعاء واحدة والمنافق ياكل بسبعة امعاء وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق والفرج وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ما امرض القلب باشد من القسوة وما اعتلت نفس باصعب من نقض الجوع وهما زماما الطرد والخذلان قال ابو حامد واما الاثار قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال الفضيل الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلتي الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزانة لا يعطيه الا لمن احب وكان سهل التستري يطوى نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي يوم القيمة عمل بر اكبر من ترك فضل الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه واله وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة من الاكل الكثير وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ

افضل

فيكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال الناس كل بر بين السماء والارض الجوع ود كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اذا اقبل الله تعالى على العبد ابتلاه بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالصبر والجوع والجهد وقال ما اظن احدا على وجه الارض شرب من هذا الماء حتى يروى فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله عز وجل ما صافى عبدا الا بالجوع ولا ولا الاهم الله الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع و قال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزمار وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك الجوف اذا خلى كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروى ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل ولم يخطر بباله الاكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى يا ولي الله بارك الله فيك ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا احضره شي اكله من غير فكر وخاطر وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلثين ثم عشرة على ما ورد في القران وانما استاك بعد ثلثين يوما فزيد عشرة ايام لاجل ذلك **بيان فوائد الجوع وافات الشبع**

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراها فاعلم ان هذا ايضا هي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه المذاق وهو غلط منه بل نفعه في خاصيته في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن اجاع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعرف عين المنفعة وعلتها ووجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الاولى**

صفاء القلب وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار فيحرمه عن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه واله وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه واله وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه واله وسلم من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل شي زكوة وزكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم نور الحكمة الجوع والبعد من الله الشبع والقربة من الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فينطفي نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور العين حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما يكون الي العبادة اذا الصق بطني بظهري وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفى ورق فاذا شبع وروى عمي وغلظ فاذن تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهذه فائدة ثانية **الفائدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا ذليلا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله

صلى الله عليه واله وسلم الدنيا وخزائنها فقال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح له باب من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر

الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في قلة ولا علة ولا ذلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في مقاساة بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة من الم الجائع

الفائدة الخامسة وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة كلها في ان يملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع وتضميرها فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدم فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت الله او هممت بمعصية وقالت عائشة ان اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة والكذب وغيرها فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل لا يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينيه و

العين

العين تزني كما يزني الفرج فان ملك عينيه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة الفرج واللسان مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات وياكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه فلذلك كان يقول بعض المشايخ لاصحابه على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلبه النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته صلوة الليل ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما يقع عينه على عورة في الحمام فان فيه ايضا اخطارا قد ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع عن عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت له ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته وفيه ضرر ومن جملة الفوائد الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون

وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست افات في الشبع فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة ويتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين الجياع يدعون حول المساجد والشباع يدعون حول المزابل **الفائدة الثامنة** يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الفكر والذكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحوج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب من انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هنديا ورومیا وعراقيا وسواديا فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل طعاما حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن تعجب الطبيب من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي وقال الخراز اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الزيادة فهو خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشيء من الماكول فيقال له انه غال فيقول ارخصوه بالترك قال سهل الاكول مذموم في

ثلث خصال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما جاء في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى رجل سمين البطن فاومى باصبعه الى بطنه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا رجالا كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه فلو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب عن كل فائدة فوائد لا تنحصر حدودها ولا تتناهى فروعها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة وكل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان **بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن** اعلم ان على المريد في ماكوله وبطنه اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى الاكل القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن

وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع فرط الاكل **اقول** هذا ليس بشيء لانه خلاف ما يظهر من اثار اهل البيت عليهم السلام فالصواب ان يحافظ السالك على قوته مهما امكنه كما يحافظ على حيوته وعقله قال الله عز وجل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ويأتي تمام الكلام فيه **قال** الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة وهو لما دون العشرة **الدرجة الثالثة** ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله عليه السلام ثلث للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد على مقدار المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده عن الطعام وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفين او رغيفا فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احديها ان لا تطلب النفس الادام بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص **نعم** قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون في كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه واله

وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه واله وسلم يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا كذا في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى **وقال** بعض السلف المؤمن مثل العنز يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا سرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم **وقال** سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات **الدرجة العليا** ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة **وقال** بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية **وقد** وقف بعض هذه الطايفة على راهب فذاكره في حاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجعل لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال ازيدك ايضا فطوى على تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن احدا ان يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية** ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة **الدرجة الثالثة** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك فهو اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة **روى** ابو سعيد الخدري انه كان صلى الله عليه واله وسلم اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة **وقال** صلى الله عليه واله وسلم لعايشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف فكان اكلتان في يوم سرفا واكلة واحدة في يومين اقتارا واكلة في كل يوم قواما بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله **ومن** اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها في السحر قبل طلوع الصبح فيكون

اكله بعد التهجد قبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلوا القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عايشة كان صلى الله عليه واله وسلم يواصل الى السحر اقول وذلك بشرط ان لا يجعل ذلك صوم وصال بل افطر بعد المغرب فان الوصال من خصائص رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو حرام على امته كما روينا عن اهل البيت عليهم السلام قال وان كان لا يلتفت قلب الصائم الى الطعام بعد المغرب وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد ايضا فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين فان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده اقول روى في الكافي باسناده عن ابن اخي شهاب بن عبد ربه قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام ما القى من الاوجاع والتخم فقال لي تغدّ وتعش ولا تاكل بينهما شيئا فان فيه فساد البدن اما سمعت الله تعالى يقول لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام عشاء الانبياء عليهم السلام بعد العتمة فلا تدعوه فان ترك العشاء خراب البدن وعنه عليه السلام قال ترك العشاء مهرمة وينبغي للرجل اذا اسن ان لا يبيت الا وجوفه من الطعام ممتل وعن الرضا عليه السلام ان في الجسد عرقا يقال له العشاء فاذا ترك الرجل العشاء لم يزل يدعو عليه ذلك العرق الى ان يصبح يقول اجاعك الله كما اجعتني واظماك الله كما اظماتني فلا يدعن احدكم العشاء ولو بلقمة من خبز او بشربة من ماء وعن النبي صلى الله عليه واله قال ما بال اصحابي لا ياكلون اللحم ولا يشمون الطيب ولا ياتون النساء اما اني اكل اللحم واشم الطيب واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه واله وسلم من اتى عليه اربعون يوما ولم ياكل اللحم فليستقرض على الله ولياكله ولقد بالغ ابو حامد في التقشف في هذا الباب سابقا ولاحقا ولم نتعرض له في كل من اقواله بل اكتفينا بما ذكرنا وحذفنا بعض حكاياته عن الصوفية مما تمجه الطباع السليمة كنقله عن سهل بن عبد الله انه اكل ذقاق التين ثلث سنين ثم اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين الى غير ذلك قال الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له

بلذاتها الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا عليه سجنا ومضيقا واشتهت نفسه الانفلات منها ويكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وليس هذا بتحريم بل هو مباح على معنى انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن دام عليه فلا يعصي ايضا بتناوله ولكن يتربى نفسه في التنعم ويانس بالدنيا ويسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه واله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليها اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله ذلك عنهم غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر بها على نفسه غفر الله له وعنه صلى الله عليه واله وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من ماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وقد امتنع السلف من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال بعضهم الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي عليه السلام من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي

نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط على الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاده الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلّ او يجلس فيذكر الله تعالى فهو اقرب للشكر و في الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغى ان يترك الخبز ويأكل الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون قوتا ولا يكون تفكها ولئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات و اتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى ان يقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهوته وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات لا اكلها ولهذا قيل ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومى الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومى عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهى الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبى صلى الله عليه واله وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة وألم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان يأكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة

على الارض فان النملة يهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا يقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه واله وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحة متشوقة الى الشهوات مايلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجعت الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو بنفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ عن تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذى يحس بألمه في اكثر الاحوال لينكسر والمقصود ان ينكسر حتى يعتدل فيرد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فينظر المغرور الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذى يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متابية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يكن له تقدير وتأقيت في طعامه قالت عائشة كان صلى الله عليه واله وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول اعندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال انى اذن اصوم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما انى كنت اردت الصوم ثم يأكل وخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما وقال انى صائم فقالت له عائشة قد اهدى لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له ان اخاك بشرا لا يأكل

من هذا فيقول اخي بشر اقبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فقيل له اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في الثياب والاثاث فالبصير باسرار المعرفة يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات **احدهما** ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها انه يظهره فان هذا صدق الحال وهو بدل على فوات المجاهدة في الاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هما نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد الله امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم اعين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره واثبته في باطنه فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات فيعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يبتغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذه تضاهي طريق من يأخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا اقول لا ارى صدقا في تلبيس الحال ولا خيرا في مثل هذه الفعال بل ارى كذبا وتجاوزا صرفا ونظرا الى الناس واظهارا لما ليس وقل من فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل فلا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات **الآفة الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن

الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل وهو اولى به قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية اقول لا يشبه هذا بكلام مولانا الصادق عليه السلام بل هو بكلام الصوفية اشبه قال وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم انه شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين **احديهما** ان يدرك لذة فيقيس بها لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية** بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا انه لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه واله وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئتك لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتا علم

موسى ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يأيس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينه بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعه ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جند الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة لها ايضا افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم ليستكثروا من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غرائب الحديث عن النبي صلى الله عليه واله قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة وجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم اقول هذا الحديث من طريق الخاصة هكذا شكوت الى جبرئيل كثرة الازواج فامرني بالهريسة وعلى هذا سقط السؤال قال والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال والجهال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمة لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيي منها حيث ما اتفق حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذلة وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطنبور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد يستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد

شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه واله وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملائكة بالحدادين وكيف يقاس غير رسول الله به وكان استغراقه بحب الله بحيث كان يخاف احتراق قلبه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه وقد كان صلى الله عليه واله وسلم طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم يغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره وتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها اقول الحاجة الى النكاح في الابتداء اكثر منها في الانتهاء فينبغي لمن اراد المعرفة ان يتزوج تزوجا لا يشغله عنها كالمتعة ونحوها وقد مضى تحقيق هذه المباحث مفصلا في كتاب آداب النكاح قال وزنا العين من كبار الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظرة والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظرة وقال النبي صلى الله عليه واله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه واله ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه واله وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم

ع ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له ما احوجك الى امرأة تستأنس بها فقال ما آنسني الله بها ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم

ويحفظوا فروجهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجبا عنه فقلنا اوليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة به في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينيه عن النساء ولم يقدر على حفظهما عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر بالشهوة الى وجه الصبي حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة لا محالة فاقول فلست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملابسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك البشرة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن وبين الابواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام امرد يجلس اليه وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت على شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال تحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال

تزنيان

ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشد منه فرايت شخصا في المنام يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله رفع ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فالنية الحسنة وفي دوامه فحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما قد فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء معي او قبلي اليه وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى كبراء اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تبارك وتعالى قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الليالي والايام حتى اتممها مائة الف درهم وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني الى ما سالت فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقسموا ميراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة خاليا عن الشهوات بحيث لم يشوش حاله فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة ثلث الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من قلب الا اتاه من قبل النساء قال سعيد وهو ابن اربع

وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما من شي اخوف عندي من النساء عن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت فقلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثه قال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي واله صلى الله عليه واله وسلم وزوجني ابنته بحضرة من كان على درهمين او ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صايما فقدمت عشاي حتى افطر به وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد فافكرت في كل انسان اسمه سعيد بالمدينة الا سعيد بن المسيب فانه لم ير منذ اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا انا به فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيتك قال لانت احق ان توتى فقلت فما تامرني قال انك كنت رجلا عزبا فزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قايمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء قال بارك الله فيكما ولكما برحمته فانصرف فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا هي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي الخبر فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثه ايام ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان بعد الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد السلام علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شي فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء بارد والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غايلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح **بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين** اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحيا

او المحافظة على حشمة وليس في شي من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا تقدر ففي هذه العوائق فايدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه واله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله و عد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة روى عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا وولدا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون بين قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الاخر اللهم اني كانت لي ابنة عم وكانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني و بين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله يا عبد الله لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت تعلم اني فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا

الزنا فحفظهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها منشأها النظرة فالنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه واله وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلا بن زياد لا يتبع بصرك رداء المراة فان النظرة تزرع في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترددانه عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به واثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه فلا يخلو في كلتي حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات وان اخطا عينيه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق يروى عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال له ما لك فقال العطش قال تعال ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى تدخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامّن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له صاحبه زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره بالقصة فقال الرسول ان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها ثم اصنع ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمة اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغوفة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف

يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستر فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة واني متشاغل عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب عن هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل علي ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت الجارية وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فقيل له مم بكاؤك وانت قد ايستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والحكم لله. هذا اخر كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

ويتلوه ان شاء الله كتاب افات اللسان والحمد لله

اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله

على محمد واله وسلم

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدّله والهمه نور الايمان فزيّنه به وجمّله وعلّمه البيان فقدّمه به وفضّله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امدّه بلسان يترجم عما حواه القلب ويقبله ويكشف عنه سرّه الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوّله من علم حصّله ونطق سهّله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجّله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وتبيان فصّله ودين سهّله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبّره عبد وهلّله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيّل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبّر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناوله وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من يقيّد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصّل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرّف طريق الاحتراز منها وايراد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفات الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعّر في الكلام بالتشدّق وتكلّف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير

ذلك

ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان ثم آفة الغناء والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين وغوائله ثم بيان ما يرخص فيه من الكذب ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ثم بيان آفة الغيبة ثم بيان معنى الغيبة وحدها ثم بيان ان الغيبة لا يقتصر على اللسان ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة ثم بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب ثم بيان الاعذار المرخصة في الغيبة ثم بيان كفارة الغيبة ثم آفة النميمة وما يجب في ردها ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وما يتعلق بذلك وهي تمام الآفات وجملتها عشرون آفة **بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت** اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وآله من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار قال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم

لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه واله وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي اللسان اى تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي وهو يقول يا لسان قل خيرا تغنم او اصمت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه واله من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروى ان معاذ بن جبل قال لرسول الله صلى الله عليه واله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع على ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه واله وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار عن الناس وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به اقول وروى في كتاب مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام انه قال الصمت

شعار

شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف به القلم وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والاخرة وفيه رضا الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل قد جعله الله سترا على الجاهل وزينا للعالم ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب لسانك عما لك منه بد لا سيما اذا لم تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه فيكتب كل ما يتكلم به ويحاسب نفسه عشية ما له وما عليه ويقول اواه نجا الصامتون وبقينا وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يضع حصاة في فمه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجه الله اخرجها فان كثيرا اصحابه رضي الله عنهم كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده فان ذلك من اخلاق الانبياء وشعار الاصفياء ومن علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطائف الصمت وائتمنه على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وفي الكتاب المذكور عنه عليه السلام ايضا انه قال الكلام اظهار ما في قلب المؤمن الصفا والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم به وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم فثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان قال بعض الحكماء احفظ لسانك عن خبيث الكلام وفي غيره لا تسكت ان استطعت فاما السكينة فهو هيئة حسنة رفيعة من الله عز وجل لاهلها وهم امناء اسراره في ارضه

فصل قال ابو حامد واما الاثار قال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين

هوانه

السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن الواسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك على ذم الكلام ملك الهند وملك الصين وكسري وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمتُ بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمد لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين عاما وقيل ما تكلم الربيع بن خُثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما كل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء **فضل** فان قلت فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطاء والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله وفي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضل هذا مع ما فيه من جمع الهمة ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا يفي بالضرر المنفعة و اما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقايق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقايق افات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما

وقسم هو نفع محض

يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الان نعد افات اللسان ونبتدئ باخفها ونرتقي الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون افة **الافة الاولى الكلام فيما لا يعنيك** اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الافات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك لا تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه اذ لو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر من حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المومن لا يكون صمته الا فكرا و نظره الا اعتبارا ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه واله وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الاخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه واله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه واله وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه فقال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يعنيه ومعناه انه انما يتهنا الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا يتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل رجل اسمه عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس

يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لاتتكلم فيما لايعنيك فانه فضل ولا امن عليك الوزر ولاتتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك بصمته وان السفيه يؤذيك بمنطقه واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به اذا غبت عنه واعفه مما تحب ان يعفك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قلت لا اسئل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال المورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال اخر لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر تتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان تتكلم ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكى معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكاياتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانك مع ذلك كله مضيع زمانك فاني تسلم من الافات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك وانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات ايضا صاحبك بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه افة واكثر الاسولة فيها افات فانك تسال غيرك مثلا عن عبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال المدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او الكذب او للاستحقار والتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن ساير عبادته وكذلك سؤالك عن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما يحدث به غيرك فتقول ماذا يقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين وربما يمنع مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسئلة لا حاجة بك اليها فالمسئول ربما لا يسمح نفسه بان يقول لا ادرى فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روى ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ولم يكن راها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسها فقال نعم الدرع للحرب

فتنزلها الابتصام ويان قال الحم كان ... عباج

فقال

فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان قد تردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسال فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما علاجه من حيث العمل فالعزلة وان يضع في فمه حجرا وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الافة الثانية فضول الكلام** وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطا بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله او سنة رسول الله او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت عليه صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة انه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمان فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تبارك وتعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرء ما بلغ به حاجته

وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول له ابتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبة اقول فقد جاء من طريق الخاصة الرخصة في مثل هذه الكذبة قال وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق رافعا راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المومن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له خيرا تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه ارسالا وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه واله وسلم فاكثر فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني قال افما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستغرق في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وراى ابو الدرداء امراة سليطة اللسان فقال لو كانت هذه خرساء لكان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام اي ما لا يعنيه فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا يؤمن ان يغلب عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمة ما تهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك

بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال صلى الله عليه واله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما يقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصول اليها من غير حاجة دعت الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان الحديث في ذلك كله خوض في الباطل

الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه واله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه واله وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه واله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه عبادة الاوثان وشرب الخمر وملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء والجدل وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن ابي سعيد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك عن قلى فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم الجدال والمراء كثير وقال صلى الله عليه واله وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذا وكذا واما في قصد

مثلا ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما اختص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت عنه او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن فانما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه من جهة القدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه واية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروهة عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطاه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان واما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الاخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما بالمراء والجدال فالمواظب عليهما مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه واثخانه واما علاجه فبان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه قيل لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رحم الله

من

من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببها عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف بمجموعها الافة الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين و يقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجازيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك ابدا قال عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب هو فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمة موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال ومن الناس من يصرح به فيقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال رميت به في البئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطيل اللسان في عرضه فمن ابتداء بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات و

ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدا كل شر وكذلك الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما لا زمه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه و قال انس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروى ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال اذهب بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقيل البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح هذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء واللجاج والجدل فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الافة السادسة التقعر في الكلام** بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه واله وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه واله وسلم الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل فيه ايضا كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف

السجع

السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اسجعا كسجع الكهان فانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه فينبغي ان تقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منهما تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الافة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان** وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتوذون الاحياء الا ان البذاء لوم وقال صلى الله عليه واله وسلم ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه واله وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه واله وسلم اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه واله وسلم يا عايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه واله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين في صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وابي وامي فقال صلى الله عليه واله وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة ويجري

ان الله

اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكر ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش بعضها افحش من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورات وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراء وغيرها فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة وقيل من وراء الستر كذا او قالت ام الاولاد كذا والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منه فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح في ذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا من خلق الله قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من باس ان انتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاونان ويتهاتران وقال صلى الله عليه واله وسلم المتسابان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه واله وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه واله وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه فقال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الآخر اباه اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال خرج رسول الله صلى الله عليه واله لعرض الخيل فمر بقبر ابي احيحة فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فوالله ان كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله فقال ابنه خالد بل لعن الله ابا قحافة فوالله ما كان يقري الضيف ولا يقاتل العدو فلعن الله اهونهما على العشيرة فقدا فالقى رسول الله صلى الله عليه واله خطام راحلته على غاربها ثم قال اذا انتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا ثم وقف فعرضت عليه الخيل ثم ساق الحديث الى ان ذكر طائفة لعنهم رسول الله صلى الله عليه واله وعد منهم ومن لعن ابويه قال فقال رجل يا رسول الله ايوجد رجل يلعن ابويه فقال نعم يلعن اباء الرجال وامهاتهم

فيلعنون ابويه اقول ويدخل في قوله ومن لعن ابويه ابو بكر بن ابي قحافة لانه لعن ابا احيحة فلعن ابنه اباه ومعلوم انه من لعنه رسول الله صلى الله عليه واله لا يصلح للخلافة الآفة الثامنة اللعن اما للحيوان او الجماد او الانسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه واله وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه واله وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقال صلى الله عليه واله وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهي الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا عظيما لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثاني اللعن باوصاف اخص منها كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج وعلى الزنادقة والظلمة واكل الربوا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة فما لم يجئ فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالث اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنه كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا اقول قد ثبت عن اهل البيت عليهم السلام جواز لعن المتامرين على امير المؤمنين عليه السلام ظلما وعدوانا والمتسمين بخلفاء رسول الله زورا وبهتانا ومن والاهم على ذلك من اعوانهم وانصارهم باشخاصهم واعيانهم وما ثبت عنهم عليهم السلام فقد ثبت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه واله عندنا وعلى هذا فقد

عن الله وعن رسوله صلى الله عليه واله عندنا وعلى هذا فقد ثبت جواز لعنهم لنا باشخاصهم على ما ذكره ابو حامد ثم اقول قد تكرر ذكر اللعن في كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه واله وسلم وكلام اهل البيت عليهم السلام على وجه افاد انه من جملة العبادات المقربة الى الله سبحانه وانه يجوز ان ينسب الى الشخص المعين اذا عرف بكفر او نفاق او فسق قال الله سبحانه اولئك عليهم لعنة الله والملائكه والناس اجمعين وهذا في معنى الامر وقال عز وجل اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وجعله الله وسيلة الى اثبات دعوى النبوة وحجة على الجاحدين لها في المباهلة لنصارى نجران حيث قال سبحانه ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ولذلك انقطعوا ولجاوا الى الصلح وبذل الجزية ولم يجدوا الى ترداد القول سبيلا وكذا اللعان بين الزوجين مسقط للحد عنهما وموجب لنفي الولد بحيث لا ينسب الى الملاعن ابدا وربما اوجب الحد على المراة اذا نكلت من غير شهود ولا بينة وقد روى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال في جواب ابي سفيان حين هجاه بالف بيت اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة الى غير ذلك وقد لعن امير المؤمنين عليه السلم جماعة وقد روى انه عليه السلام كان يقنت في الصلوة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وابي موسى وابي اعور السلمي مع انه عليه السلام احلم الناس عن ذنب واعظم قدرا من ان يخرج نفسه النفيسة لكدر بشر فلولا انه كان يرى لعنهم من اقرب القربات لما كان يتخير محله في الصلوات المفروضات وقد روى العامة ان عايشة لعنت عثمان ولعنها وخرجت غضبى عليه الى مكة وقد روى اصحابنا ان امير المؤمنين عليه السلام كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش يعني بهما ابا بكر وعمر وقد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب ان الصادق عليه السلام كان ينصرف من الصلوة بلعن اربعة رجال منهم ابو بكر وعمر ومن نظر الى ما وقع للحسن عليه السلام مع معاوية واصحابه وكيف لعنهم وقذفهم بالفحش على ما رواه العامة ويتتبع ما ورد من الآثار عن الائمة الاطهار عليهم السلام في الكافي للكليني رحمه الله وغيره من كتب الحديث والادعية في لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء الضلال والتصريح باسماء هؤلاء علم ان ذلك من شعب الدين وشعائره بحيث لا يتخالجه شك ولا يعتريه مرية وفي الكافي عن ابي الحسن موسى عليه السلام انه قال لعن الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت وقالت الصحابة وقلت واما حديث لا تكونوا لعانين فلعله نهى عن ان يكون السب خلقا لهم بسبب المبالغة فيه والافراط في ارتكابه بحيث يلعنون كل احد كما يدل عليه قوله لعانين لا انه نهى عن لعن المستحقين والا لقال لا تكونوا لاعنين فان بينهما فرقا يعلمه من احاط بدقائق لسان العرب واما ما روى ان امير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن

اهل

اهل الشام فان صح فلعله عليه السلام كان يرجو اسلامهم ورجوعهم اليه كما هو شان الرئيس المشفق على الرعية ولذلك قال ولكن قولوا اللهم اصلح ذات بيننا وهذا قريب من قوله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولا لينا واما ما ذكره ابو حامد في هذا الباب من الكلام في لعن يزيد لعنه الله فينبغي ان يطوى ولا يروى **قال** ولا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه واله وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه واله وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا والتعرض للاموات اشد قال صلى الله عليه واله وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيلة يوم القيمة **الآفة التاسعة الغناء والشعر** وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده **اقول** حاصل ما ذكره هناك ما اورده في اخر ذلك الكتاب من ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة هذا كلامه وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الغنا وعنه عليه السلام في قوله عز وجل لا يشهدون الزور قال الغنا وعنه عليه السلم قال الغنا عش النفاق وعن الباقر عليه السلام الغنا مما وعد الله عز وجل عليه النار وتلا هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وعنه عليه السلام اذا ميز الله بين الحق والباطل فاين يكون الغنا وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام انه سئل عن بيع جواري المغنيات قال شراؤهن وبيعهن حرام وتعليمهن كفر واستماعهن نفاق وعنه عليه السلام المغنية ملعونة ملعون من اكل كسبها وعنه عليه السلام اجر المغنية التي تزف العرائس ليس به باس ليست بالتي يدخل عليها الرجال وعن الباقر عليه السلم انه سئل عن كسب المغنيات فقال التي يدخل عليها الرجال حرام والتي تدعى الى الاعراس ليس به باس وهو قول الله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وفي كتاب من لا يحضره الفقيه

سال رجل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت فقال ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنة يعني بقراءة القران والزهد والفضائل التي ليست بغناء فاما الغناء فمحظور انتهى وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال رجع بالقران صوتك فان الله تعالى يحب الصوت الحسن ترجع به ترجيعا وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اقرؤا القران بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكبائر فانه سيجيء بعدي اقوام يرجعون القران ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم وقد ذكرنا في كتاب اداب تلاوة القران من ربع العبادات اخبارا اخر في هذا الباب ويستفاد من مجموعها اختصاص حرمة الغنا وما يتعلق به من الاستماع والاجر والتعليم وغيرها بما كان على النحو المتعارف في زمن بني امية وبني العباس من دخول الرجال عليهن وتكلمهن بالاباطيل ولعبهن بالملاهي والعيدان والقضيب واما ما سوى ذلك فاما مندوب اليه كالترجيع بالقران وما يكون منه وسيلة الى ذكر الله والدار الاخرة واما مباح او مكروه كما ذكرها ابو حامد ولا يبعد ان يختلف الحكم في بعض افراده بالاضافة الى تفاوت درجات الناس فانه لا يليق بذوي المروات ما يليق بغيرهم

قال ابو حامد واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا ودما حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال صلى الله عليه واله وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير روحه ۞ لجاد بها فليتق الله سائله ۞ فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذابا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عايشه كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم صح فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشه ابو كبير الهذلي فقلت يقول ومبرا من كل غبر حيضة ۞ وفساد مرضعة وداء مغيل ۞ واذا نظرت الى اسرة وجهه ۞ برقت كبرق العارض المتهلل ۞ قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما كان بيده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة خيرا ما سررت مني كسروري منك

اليوم ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص من الابل فانبعث العباس يشكو في شعر له وفي اخره وما كان بدر ولا حابس ۞ يفوقان مرداس في المجمع ۞ وما كنت دون امرئ منهما ۞ ومن يضع اليوم لا يرفع ۞ وقد كنت في الحرب ذا تدرإ ۞ ولم اعط شيئا ولم امنع ۞ فقال صلى الله عليه واله وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين اقول لم يبين ابو حامد معنى الشعر وانه على اي كلام يطلق كما كان يبين نظائره من الالفاظ فاعلم ان الشعر يطلق على معنيين احدهما الكلام الموزون المقفى سواء كان حقا او باطلا وعلى هذا يحمل حديث ان من الشعر لحكمة وحديث ان لله كنوزا تحت عرشه ومفاتيحها السنة الشعراء وكذا كل ما ورد في مدح الشعر ونفي الباس عنه كما سنذكره فان المراد منه ما كان حقا من الموزون المقفى ليس فيه تمويه وكذب والمعنى الثاني الكلام المشتمل على التخيلات الكاذبة والتمويهات المزخرفة التي لا اصل لها ولا حقيقة سواء كان لها وزن وقافية ام لا وعليه يحمل ما ورد في ذمه وهو المراد من قول قريش حيث نسبوا القران الى الشعر وقالوا للنبي صلى الله عليه واله انه شاعر فان القران ليس بموزون و من هذا القبيل مجادلات المتكلمين في المذاهب وشبهاتهم المزخرفة المضلة قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون هل رايت شاعرا يتبعه احد انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا واضلوا وقال الصادق عليه السلام هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال بعض علمائنا طاب ثراهم انها نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله عز وجل هل رايتم شاعرا قط يتبعه احد وانما عنى بذلك الذين وضعوا دينا باراءهم فيتبعهم الناس على ذلك قال الم تر انهم في كل واد يهيمون يعني يناظرون بالاباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب يذهبون يعني بهم المغيرين دين الله وانهم يقولون ما لا يفعلون يعني يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون ويامرون بالمعروف ولا يعملون قال وهم الذين غصبوا ال محمد حقهم واما ما ورد في مدح الشعر بالمعنى الاول ما كان منه حقا من طرق الخاصة فمنه ما رواه الصدوق رحمه الله في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناد حسن عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال قال ابو عبد الله عليه السلام من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا في الجنة وباسناده عنه عليه السلام قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس وباسناده عن الحسن بن الجهم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما قال فينا مؤمن شعرا يمدحنا به الا بنى الله له مدينة في الجنة اوسع من الدنيا

سبع قرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام انه ساله رجل عن اول من قال الشعر فقال ادم قال وما كان شعره قال لما انزل الى الارض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال عليه السلام تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح الحديث وفي التهذيب باسناده عن خلف بن حماد عن الرضا عليه السلام قال قلت ان اصحابنا يروون عن ابائك عليهم السلام ان الشعر ليلة الجمعة ويوم الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت ان ارثي ابا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان فقال ارث ابا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل وفي سائر الايام فان الله عز وجل يكافيك على ذلك وفي الصحيح عن علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال سالته عن انشاد الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لا باس به فلا باس به وفي الصحيح عن علي بن جعفر عن اخيه الكاظم عليه السلام قال سالته عن الشعر ايصلح ان ينشد في المسجد قال لا باس واما ما ورد في ذم الشعر بالمعنى الاول ما كان منه باطلا فمنه ما رواه جعفر بن ابرهيم في الصحيح عن زين العابدين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا فض الله فاك انما نصبت المساجد للقران فانه محمول على الشعر الباطل وكذا ما رواه سماعة في الموثق قال سالته عن نشيد الشعر هل ينقض الوضوء او ظلم الرجل صاحبه او الكذب فقال نعم الا ان يكون شعرا يصدق فيه او يكون يسيرا من الشعر الابيات الثلثة والاربعة فاما ان يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء ولعل المراد نقصان ثواب الوضوء بل واستحباب اعادته لا وجوب ذلك واما ما رواه حماد بن عثمان وغيره في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه وان كان فينا قال وان كان فينا وما رواه حماد ايضا في الصحيح عنه عليه السلام قال يكره رواية الشعر للصائم والمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروى بالليل قال قلت وان كان شعر حق قال وان كان شعر حق فمحمول على الموزون المشتمل على التخيلات المزخرفة والكاذبة وذلك لان كونه موضوعا حقا لحكمة او موعظة او كونه فيهم عليهم السلام لا يخرجه عن المبالغات الشعرية الكاذبة فان لم يكن مشتملا على شيء منها فلا باس بالوزن **الافة العاشرة المزاح** واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا واما المزاح فطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه والمداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط

منه

منه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك يميت القلب ويورث الضغينة في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال بعضهم من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا فقال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وقال اخر لنفسه اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي فهذه افات الضحك فالمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه واله وسلم على قلوص له صعب فلم يجعل كلما دنى الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ليساله نفر به وجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يضحكون به ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اذا ادى المزاح الى اسقاط الوقار فقد قيل من مزح استخف به وقال بعضهم لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال اخر اياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقيل اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه واله وهو خطا اذ من الصغائر ما يصير كبيرة

الدني
القطيعة

بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمزح قال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه واله وسلم كسى ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان من افكه الناس وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال صلى الله عليه واله وسلم لها لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه واله وسلم نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له وقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا فخرج وجهه وما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه واله وسلم لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت ارمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه واله لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتعزز منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتعزز منه حتى لقيني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد

بعد قال قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه واله وسلم وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال صلى الله عليه واله وسلم ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه واله وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه واله وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم منه استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا

كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها والمذموم امثالها **الآفة الثانية عشرة افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب** فان اللسان سباق الى الوعد ثم ان النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه واله وسلم العدة دين وقال صلى الله عليه واله وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه واله وسلم الواى مثل الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فيقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره اقول ومن طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام انما سمي اسمعيل صادق الوعد لانه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد ثم ان الرجل اتاه بعد ذلك فقال له اسمعيل ما زلت منتظرا لك قال ابو حامد وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه واله وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هيهنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء فاما من عزم على الوفاء وعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز ايضا من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلث من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد

فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تطلب منه خادما وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي يا رسول الله فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف موعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من وعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اقنع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه اقول قد سبق جواز خلف وعد النساء والصبيان اذا وعدوا في تطييب نفوسهن **الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين** وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال صلى الله عليه واله وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما الاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه واله وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع فقال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه واله وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنأهم الله التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه واله ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه واله وسلم رايت كان

رجلا جاءني فقال قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا رسول الله هل يكذب المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه واله وسلم لو افاء الله تعالى علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه واله وسلم وكان متكئا الا اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم تقبلوا الي ست اتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه واله وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما العوق فالكذب واما النشوق فالغضب واما كحله فالنوم وقال صلى الله عليه واله وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه واله وسلم من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان ويروى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه واله وسلم على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلوات الله عليه يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي

كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه واله وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة ووفاء العهد وبذل السلام وخفض الجناح وقال علي عليه السلام اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقراض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا كما لو كان في الصدق قتل نفس بغير حق فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما يمكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغني عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الواجب ومقدار الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الاخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس

ولو بالكذب وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه واله وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال علي عليه السلام اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكرها ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان بالكذب وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولكن لو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح بضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل لي فيه شي فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه

وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد ووعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هو اهم في الشرع من الصدق او لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يودي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه واله وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا بضرورة ولا ضرورة هيهنا اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعها وما هو جديد على الاسماع فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلى الله تعالى ويودي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من الكباير التي لا يقاومها شي

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن ابن عباس وغيره اما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب وانما ارادوا من ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض فقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هيهنا لئلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه فيخط دايرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هيهنا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا وهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك امير المومنين فكنت اقول جزى الله

امير المومنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل فلا فائدة فيه نعم المعاريض لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه واله وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح فكما يعتاده الناس من مداعبة الحمقا بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يكمل المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد بها تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عايشة التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عايشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردين يد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدنا الشيء نشتهيه لا نشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه من مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعته فقالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان تقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه واله ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

ان

ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل و قال صلى الله عليه واله وسلم من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة وقال ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر النبي صلى الله عليه واله وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له ثم الرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحيان ان تاتياك فاذن لهما فلتفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم

وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل واربى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اما انه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه واله وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وسمع علي بن الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وعن مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة قال الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال بعضهم يبصر احدكم القذا في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وقال اخر يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك واذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم عليهما السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه **اقول** قال بعض علمائنا انه ليس المقتضي لما قاله عيسى عليه السلام كون كلام الحواريين غيبة بل الوجه فيه ان نتن الجيفة ونحوه مما لا يلائم الطباع غير مستند الى فعل من يحسن انكار فعله وكلام الحواريين ظاهر في الانكار كما لا يخفى وكان عيسى عليه السلام نظر الى ان الامور الملائمة وغيرها مما هو من هذا القبيل كلها من فعل الله تعالى على مقتضى حكمته فقدام بالشكر على الاولى والصبر على الثانية وفي اظهار الحواريين الانكار في نتن الرائحة دلالة على عدم الصبر او الغفلة عن حقيقة الامر فصرفهم عنه الى امر يلائم طباعهم وهو شدة بياض اسنان الكلب وجعله مقابلا للامر الذي لا يلائم وشاغلا لهم عنه وهذا معنى لطيف تبين لي من الكلام وطريق

عدم صح

الخاصة

الخاصة ما رواه الصدوق رحمه الله باسناده الى النبي صلى الله عليه واله وسلم قال من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه قال وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الجلوس في المسجد انتظارا للصلوة عبادة ما لم يحدث فقيل يا رسول الله وما الحدث قال الاغتياب وروى ابن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قال في مؤمن ما راته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم وعن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله عليه السلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وعن الصادق عليه السلام قال الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل الحسنات كما تاكل النار الحطب **بيان معنى الغيبة وحدها** اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او جزار او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق فبان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة وبالزكوة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكرت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم امراة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان

من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقالوا ما اعجزه فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عايشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير بالسوء ثلثة اقسام الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا تغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه واله وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم اقول هذه الاخبار العامية لا تصلح لاثبات حكم شرعي ولا سيما مع وجود الداعي لهم الى اختلاق مثلها فان كثرة عيوب ائمتهم ونقايص رؤسائهم تحوج الى سد باب اظهارها بكل وجه ليروج حالهم ويامنوا نفرة الرعية عنهم وكان في التعرض لاظهار عيوب الناس خطر او محذورا فكذا في حسم مادته وسد بابه فانه تقريب لاهل النقايص ومرتكبي المعاصي على ما هم عليه كذا قال بعض علمائنا وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان تذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمد اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا وعنه عليه السلم الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وفي خبر اخر هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال لان الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق

بيان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح

والفعل

والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال صلى الله عليه واله وسلم قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان تمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعريض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه ويجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادات من غير علم فانه يتعبهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغى الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه اله في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف فنسال الله ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله تعالى مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله

لا يدرى انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب به فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق للغيبة غيبة بل الساكت شريك القائل قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المستمع احد المغتابين وقد روى عن ابى بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليأكلا مع الخبز فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما لصاحبه اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفى ان يشير باليد اى اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى ان يذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء قال النبى صلى الله عليه واله وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد فى نصرة المسلم فى الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها فى كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد فى حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية **الاول** تشفى الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه يشفى الغيظ بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع عن تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن ويصير حقدا ثابتا ويكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثانى** موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة فى الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب بغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى فيهلك معهم

الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما هو فيه صادق ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتى الكذب فانى اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه بذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقرين الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور فيجرى ايضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزئ به واما الاسباب الثلثة التى فى الخاصة فهى اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وما فيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول** ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا فى الدين فيقول ما اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدرى واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل **الثانى** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى امره وما ابتلى به فيكون صادقا فى اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكنه ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدرى والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة

مما يعمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطاء بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فسلم عليهم فردوا السلام عليه فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره بما قال قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وحكى له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه فساله فقال له قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة قال فساله يا رسول الله هل راني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود فساله فقال لا قال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فساله يا رسول الله هل راني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا قال والله ما رايته يعطي سائلا قط ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يوديها البر والفاجر قال فساله هل راني نقصت منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك اقول وفي مصباح الشريعة عن الصادق عم ان اصل الغيبة متنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال فان اردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الاثم ثوابا **بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة** اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها و علاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه تنقل يوم القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا عما احتاج من عرضه فان لم يكن له حسنة نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لسخط الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنة العبد وروي ان رجلا قال لاخر بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا

من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوث نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحوم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو اعظم من العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له واذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جلية **اما التفصيل** فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب **اما الغضب** فيعالجه بما سياتي في كتاب افات الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها واستجرات على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه واله وسلم من اتقى ربه امسك لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق **واما الموافقة** فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة **واما تنزيه النفس** بنسبة الجناية الى الغير حيث تستغني عن ذكر الغير فعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة وتمحو حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان **واما عذرك** كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته

سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى الغنم تردى نفسها من الجبل فهى ايضا تردى نفسها من الجبل فهى ايضا ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت الغنم اكيس منى وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك **واما قصدك** المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح فى غيرك فينبغى ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا **واما الغيبة للحسد** فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الاخرة فكنت خاسرا فى الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا فى الاخرة لتجمع بين نكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ ينقل اليه حسناتك او ينقل اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود **واما الاستهزاء** فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت فى حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك فى القيمة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه وتسليطه على الانتقام منك **واما الرحمة** له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ احبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وعملك وتصير متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة **واما التعجب** اذا اخرجك الى الغيبة فينبغى ان تتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن من عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من ابواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث نفسك بذلك ولان تسىء الظن باخيك ولست اعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء واما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهى عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس وتميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد فى غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثمة مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به وان كان الفاسق يتصور ان يصدق فى خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق حتى ان من استنكه فوجد فى فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل هذه دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغى ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته فيه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد سوء الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا لم يعهده ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ثلث فى المومن لا يستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اى لا يحقق فى نفسه بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح اما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفى الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقدر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المومن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغى ان تحسن الظن بالواحد وتسىء بالاخر نعم ينبغى ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة ومقت فيتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة العدو على عدوه للتهمة فلك عند ذلك

ان تتوقف في اخباره وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا تحاسد بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم و تنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بدلالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنها في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك لكان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه واله وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه واله وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افاخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ كان

قصدها

قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى اهل الشر او مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وفي ذكرك ضررا على العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس** ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكل من يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وذلك لانه ربما يتفاخر به فكيف يكره ذلك وهو يقصد اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم **اقول** قال السيد العلامة فضل الله بن علي الحسني في شرح الشهاب في تفسير قوله صلى الله عليه واله وسلم ليس لفاسق غيبة ان الغيبة ذكر الغائب بما فيه من عيب من غير حاجة الى ذكره ثم قال فاما اذا كان من يغتاب فاسقا فانه ليس ما يذكر به غيبة وانما يسمى ما يذكر في غيبته غيبة اذا كان تائبا نادما فاما اذا كان مصرا عليه فليس بغيبة كيف وهو يرتكب ما يغتاب به جهارا انتهى كلامه ويؤيده الاخبار وكلام اهل اللغة قال الجوهري الغيبة ان يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمي غيبة وان كان كذبا سمي بهتانا وعن الصادق عليه السلام الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا والبهتان ان تقول فيه ما ليس فيه وعن ابي الحسن عليه السلام من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته

بيان كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على ما فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقيل يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل بعضهم عن التوبة عن الغيبة فقال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف ويثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روى انه صلى الله عليه واله وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنة اخذ من سيات صاحبه فزيدت على سياته **اقول** الكلام الصحيح الجامع بين الاخبار والاقوال الواردة في هذا الباب ما قاله الصادق عليه السلام ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه وان لم يلحقه فاستغفر الله وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه اثارة للفتنة وجلب للضغاين وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت او غيبة **قال ابو حامد** فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه نوع تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة في القيمة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة

به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان قياسه قياس ساير الحقوق وان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل فقد ورد اذا جثت الامم بين يدى الله عز وجل يوم القيمة نودي ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفى عن مظلمته في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا جبرئيل ما هذا العفو فقال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وروى عن بعضهم ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام **الافة السادس عشرة النميمة** قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام واللمزة المغتاب وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وعنه صلى الله عليه واله وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة بين الاحبة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه واله وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به **اقول** ومن طريق الخاصة

لوط

ما رويناه عن الصادق عليه السلام قال قال امير المومنين عليه السلام شراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون للبرءاء المعايب وعن الباقر عليه السلام قال الجنة محرمة على المغتابين والمشائين بالنميمة **قال ابو حامد** وروى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم فاخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البرئ اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة

بيان حد النميمة وما يجب في ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقال فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة بالمقول فيه بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز والايماء سواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما راه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا كان راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه واظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا وهو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله **الرابع** ان لا يظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث ليتحقق قال الله تعالى ولا تجسسوا **السادس**

ان لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه النمام فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن علي عليه السلام ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك فان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات عن الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الى اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال بعضهم من نم اليك نم عنك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال عز وجل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه واله وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل هو قاطع بين الناس بالنميمة وهو النمام وقيل قاطع الرحم وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس للحلال وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بها لم تزل بها سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم فينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه

ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك وانا اسحر لك في شعره فقالت كيف اقدر على اخذ شعره فقال اذا نام فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها يقتله فقام فقتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين و طال الامر بينهم **الآفة السابع عشر كلام ذي اللسانين** وهو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ويتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وعنه صلى الله عليه واله وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال مالك بن دينار قرأت في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمتكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق باسناده الى علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يجيء يوم القيمة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلتهبان خده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيمة وبالاسناد الى الباقر عليه السلام قال بئس العبد عبدا يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله وبالاسناد عنه عليه السلام قال بئس العبد عبد همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر بآخر وبالاسناد قال قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليهما السلام ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك قلبك اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد وكذلك الاذهان **قال ابو حامد** واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مات فلم يصل عليه

حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم و لا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم قال ونشدتك الله انا منهم ام لا فقال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة و الاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فان نقل من الجانبين فهو شر من النميمة وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما انه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه قيل لبعض الصحابة انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه واله و سلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء ومراعاتهم ومراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت عايشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل اقبل عليه والان له القول فلما خرج قالت عايشة قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول فقال يا عايشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم واما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب لمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك

الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر بلسانه و بقلبه فان لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه الافة الثامن عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست افات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي الافراط به الى الكذب الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال صلى الله عليه واله وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الافة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه واله وسلم قطعت عنق اخيك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى و قال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلوب العوام واما ما قاله مطرف فذلك قلوب الخواص وقال صلى الله عليه واله وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقيل المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح ولذلك شبه به فان سلم المدح عن هذه الافات في حق

وقيل من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في الارض فالظالم الفاسق

المادح

المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على الصحابة ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا او فتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بولد ادم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على رعاياه وبتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه واله وسلم وجبت الجنة لما اثنوا على بعض الموتى قال انتم شهداء الله في الارض وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله و اذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه افات المدح بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز من افة الكبر والعجب وافة الفتور والرياء ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وافات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال اخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا قد تقرب الى بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي عليه السلام لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون الافة التاسع عشر الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل ولكن الله يعفو عنه لجهالته مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه واله وسلم

اجعلتني لله عدلا بل ماشاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وعن ابن عباس انه قال ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الله ينهيكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وعنه صلى الله عليه واله وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وعنه صلى الله عليه واله وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد الله والرب واحد وعنه صلى الله عليه واله وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه واله وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه واله من صمت نجا لان هذه الافات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حاجز ومراقبة لازمة وتقليل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع ذلك لا ينفك من الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الافة العشرون سوال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف قديمة هي او محدثة

وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القران الا انه ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القران والتسليم بما جاءت به الرسل من غير بحث وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو يوجب العقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ

فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم منه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وروى انه سال الناس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان قالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله انا في الجنة او في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم امسكوا وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه واله وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر صلى الله عليهما تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهي من المثيرات للفتن فيجب ذبهم ومنعهم وخوضهم في حروف القران ونظائر ذلك من العلوم ونظرهم في ذلك يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك بكتاب يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه انها قديمة او محدثة وكذا ساير صفات الله هذا اخر الكلام في كتاب افات اللسان من ربع المهلكات من المحجة البيضا في احياء الاحيا ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب افة الغضب والحقد والحسد

والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

والصلوة على محمد واهل

بيته وسلم

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من المحجة البيضا في احياء الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون• ولا يحذر سوى غضبه وسطوته الخائفون• الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون• وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون• وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون• ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون• وامتحن بحبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون• وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون• وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون• فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون• والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمتقون• وعلى اله واصحابه الائمة المهديون• والسادة المرضيون• صلوة يوازي عددها عدد ما كان خلق الله وما سيكون• ويحظى ببركتها الاولون والاخرون اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب والاضطرار ومنه قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيظهما مضغة اذا اصلحت صلح لها ساير الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان فيه ويعالجه ان يلج في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه

ومعالجته

ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني الاعمام والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله عليهم من السكينة وروي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وعنه صلى الله عليه واله وسلم انه سئل ماذا يبعد عن غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه واله وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وعنه صلى الله عليه واله وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وعنه صلى الله عليه واله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فواد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع الا ان اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى ان شاء الله تعالى وقال صلى الله عليه واله وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه واله وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل يا رسول الله اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعد من غضب الله قال لا تغضب اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وعن ميسر قال ذكر الغضب عند ابي جعفر عليه السلام فقال ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار فايما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وعن ابي حمزة الثمالي عنه عليه السلام قال ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الغضب مفتاح كل شر وعنه عليه السلام قال سمعت ابي يقول اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجل بدوي فقال اني اسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقال امرك ان لا تغضب فاعاد الاعرابي عليه المسالة ثلث مرات

حتى يرجع الرجل الى نفسه فقال لا اسال عن شيء بعد هذا ما امرني رسول الله صلى الله عليه واله الا بالخير قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله و يقذف المحصنة وعنه عليه السلام قال من كف غضبه ستر الله عورته وعنه عليه السلام قال ان في التورية مكتوب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك وعنه عليه السلام قال الغضب ممحقة لقلب الحكيم وقال من لم يملك غضبه لم يملك عقله وعنه عليه السلام قال قال رجل للنبي صلى الله عليه واله وسلم علمني قال اذهب ولا تغضب فقال الرجل قد اكتفيت بذلك فمضى الى اهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح فلما راى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا تغضب فرمى السلاح ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدو قومه فقال يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل او ضرب ليس فيه اثر فعلي في مالي انا اوفيكموه فقال القوم فما كان فهو لكم نحن اولى بذلك منكم قال فاصطلح القوم وذهب الغضب وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كف نفسه عن اعراض الناس اقال الله نفسه يوم القيمة ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذابه يوم القيمة وعنه عليه السلام قال مكتوب في التورية فيما ناجى الله به موسى يا موسى امسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف عنك غضبي **قال ابو حامد** الاثار عن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا سال الشيطان اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد عليه السلام الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الحكماء راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن العلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلم يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ويبخل بما في يديه وتمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوات ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا

الى

الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنفشي اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون و ان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب و بالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة و شهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط ففقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو

من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب صح

ناقص جدا وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قاله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهي ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن يسمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل تزيده الموعظة غضبا وان اراد ان يستضيء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى بعينيه ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصير الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فيفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه غيظا كما يقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذا عماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من

قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذووا العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد تكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك ويا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفسها ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال صلى الله عليه واله وسلم ان سعدا الغيور واني لاغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بها لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه واله وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا ياخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ يتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حيث قال خير الامور اوسطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور

واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه ليغض من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتى بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه قد ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه يتوجه واياه يقصد وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راى من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه اخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محاله واذا قصد بمكروه غضب لا محاله الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه واريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما بالقوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كان له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب بالضرورة على اخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدرى انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب

لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا به فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهى ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به ويضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان بان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك فهو عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحى حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا قد ينتهى الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا

لان حبه ليس بضروري شك

الخيرة وربما يكون

بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه وقال عبدالله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال صلى الله عليه واله وسلم ما لك جاء شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي عليه السلام كان صلى الله عليه واله وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل بعضهم فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب

تخلص

تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب فقال وما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والهزؤ والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سياتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو ادم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهما راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلا تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الاخرة واما الهزؤ فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزئ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر ويهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها واية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل

ودنو الخلق السيئ والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه واله وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل العلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل **بيان علاج الغضب بعد هيجانه** اعلم ان ماذكرناه حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجانه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي غيظه غضب بعضهم على رجل فقال الرجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فخلى عنه **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وصيفا له الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في القيمة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة فيكون حينئذ مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب بالانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء والعلماء في عادتهم لتميل الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي

يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون سببه مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين فمهما تكظمي الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك لعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفى عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرع على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله اعظم من غضبه **واما العمل** فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه واله وسلم اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن ويستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة اذ قال صلى الله عليه واله وسلم ان الغضب جمرة تتوقد في القلب الم تر الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد وليغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال صلى الله عليه واله وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء البارد فان الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفى النار الماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه واله وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وهو تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب ليستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وقيل كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه الصحيفة وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي

فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر اوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ثم اعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك اى لا تعطل الحدود **فضيلة كظم الغيظ** قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه واله وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفى عند القدرة وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملاء الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية اخرى امنا وايمانا وعنه صلى الله عليه واله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه واله وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق يخيره في اى الحور شاء وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من احب السبيل الى الله تعالى جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر وعن ابى عبد الله عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول ما احب ان لي بذل نفسي حمر النعم وما تجرعت جرعة احب الى من جرعة غيظ لا اكافى بها صاحبها وعن ابي جعفر عليه السلام قال من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وعن ابي عبد الله عليه السلام قال نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم وعنه عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله تعالى عزا في الدنيا والاخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك وعنه عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاه وعن ابي الحسن الاول عليه السلام قال اصبر على اعداء النعم فانك لن تكافى من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة

ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتوقى الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وعنه صلى الله عليه واله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن يتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وعنه صلى الله عليه واله وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك وقال صلى الله عليه واله وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وروى ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله الى النبي ان قد غفرت له بذلك وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وفي قوله يمشون على الارض هونا اى حلماء واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل في قوله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وفي قوله وكهلا قيل الكهل منتهى الحلم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا جمع الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال علي عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك

لكن الخير ان يكثر عملك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله و اذا اسأت استغفرت الله وعن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام انه وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فقيل لي ان تركك له ذل فقال جعفر عليه السلام انما الذليل الظالم ومر المسيح بن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا يعرف اخاك الا عند حاجتك اليه **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط وعن ابي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه وعن ابي عبد الله عليه السلام قال كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وعن حفص بن ابي عائشة قال بعث ابو عبد الله عليه السلام غلاما له في حاجة فابطأ فخرج ابو عبد الله عليه السلام في اثره فوجده نائما فجلس عند راسه يروحه حتى انتبه فلما انتبه قال له ابو عبد الله عليه السلام يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وانت اهل لما قلت ستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك قال فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما وان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين **قال ابو حامد** ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال اتذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم فقال احسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ۝ وان كثرت منه علي الجرائم ۝

وما الناس الا واحد من ثلثة ۝ شريف ومشروف ومثل مقاوم ۝ فاما الذي فوقي فاعرف فضله ۝ واتبع فيه الحق والحق لازم ۝ واما الذي دوني فان قال صنت عن ۝ اجابته عرضي وان لام لائم ۝ واما الذي مثلي فان زل او هفى ۝ تفضلت ان الفضل بالخير حاكم **بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام** اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وفصلناه في كتب الفقه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان متهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا لينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه واله وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي بفعله والذي يرخص فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بني فلان ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه ثلاب للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما قال النبي صلى الله عليه واله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان قال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم **قال** ابو حامد فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه لانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا

هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويثور في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متغيظا عليه فيكون شافيا الغيظه مريحا نفسه صاحب حظ فيه و ينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راى بعض الولاة سكران فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع وقال اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي

سريع الفيء ومنهم سريع الغضب صح

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه و ان يدوم على ذلك ويبقى وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها و تسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر و هتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او ترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلثه احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه و ذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو

اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرا عنه من قصاص او غرامة

وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يغنكم الله و قالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك حرمة من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه واله وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه واله وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وعنه صلى الله عليه واله وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعنه صلى الله عليه واله وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعنه صلى الله عليه واله وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا ينبغي لوالي امر اتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا فليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله قيل او احديهن يا رسول الله قال او احديهن اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في خطبته الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وعنه عليه السلام

قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وعن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملئكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة وعن ابي جعفر عليه السلام قال الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعنه عليه السلام قال ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه واله وسلم فقال لها ما حملك على ما صنعت فقالت قلت ان كان نبيا لم يضره وان كان ملكا ارحت الناس منه قال فعفى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عنها وعن ابي عبد الله عليه السلام ثلث من مكارم الدنيا والاخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك وعن ابي الحسن عليه السلام قال ما التقت فئتان قط الا نصر اعظمهما عفوا وعن معتب قال كان ابو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت الى غلام له قد اخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط فاتيته واخذته وذهبت به اليه فقلت له جعلت فداك اني وجدت هذا وهذه الكارة فقال للغلام فلان قال لبيك قال اتجوع قال لا يا سيدي قال فتعرى قال لا يا سيدي قال فلاي شيء اخذت هذا قال اشتهيت ذلك قال اذهب فهي لك وقال خلوا عنه قال ابو حامد الاثار قيل لراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا قال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد فقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفى وقيل القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع فطلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها وقد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على السارق اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله على الذنب جراة فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة

الغضب

الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت والتاني في الامور ثم الرفق لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظها على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا حظهم من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال اتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال الرفق يمن والخرق شوم وقال التاني من الله والعجلة من الشيطان اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لو كان الرفق خلقا يرى ما كان من خلق الله شيء احسن منه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وعنه عليه السلام قال ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الرفق يمن والخرق شوم وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما اصطحب اثنان الا كان اعظمهما اجرا واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه وعنه عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وعنه عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم ومضادتهم لهواهم وقلوبهم ومن رفقه بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ الامر بالاخر فصار منسوخا وعن ابي الحسن موسى عليه السلام قال الرفق نصف العيش وعنه عليه السلام قال لمن جرى بينه وبين قوم كلام ارفق بهم فان كفر احدكم في غضبه ولا خير فيمن كان كفره في غضبه وعن عمرو بن ابي المقدام رفعه الى النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ان في الرفق الزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير وعنه رفعه الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ما زوي الرفق عن اهل بيت الا زوي عنهم الخير قال ابو حامد بعد ذكر الاثار فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد يقع لكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة واشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق

وعنه عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق صح

فان النجح معه فی الاکثر **القول فی ذم الحسد و فی حقیقته و اسبابه و معالجته و غایة الواجب فی ازالته**

بیان ذم الحسد اعلم ان الحسد من نتایج الحقد و الحقد من نتایج الغضب فهو فرع فرع الغضب و الغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذمیمة ما لا یکاد یحصی و قد ورد فی ذم الحسد خاصة اخبار کثیرة قال رسول الله صلی الله علیه و اله و سلم الحسد یاکل الحسنات کما تاکل النار الحطب و قال رسول الله صلی الله علیه و اله و سلم فی النهی عن الحسد و اسبابه و ثمراته لا تحاسدوا و لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا و کونوا عباد الله اخوانا و روی انه صلی الله علیه و اله شهد لرجل من الانصار بانه من اهل الجنة فلما فتشوا عن حاله ما راوه یعمل عملا کثیرا غیر انه اذا انقلب علی فراشه ذکر الله تعالی و لم ینم حتی یقوم لصلوة الفجر فقیل له فی ذلک فقال ما هو الا ما ترون غیر انی لا اجد علی احد من المسلمین فی نفسی غشا و لا احسد احدا علی خیر اعطاه الله ایاه و قال صلی الله علیه و اله و سلم ثلث لا ینجو منهن احد الظن و الطیرة و الحسد و ساحدثکم بالمخرج من ذلک اذا ظننت فلا تحقق و اذا تطیرت فامض و اذا حسدت فلا تبغ و فی روایة ثلث لا ینجو منهن احد و قل من ینجو منهن فاثبت فی هذه الروایة امکان النجاة و قال صلی الله علیه و اله و سلم دب الیکم داء الامم من قبلکم الحسد و البغضاء و البغضة هی الحالقة لا اقول حالقة الشعر و لکن حالقة الدین و الذی نفس محمد بیده لا تدخلون الجنة حتی تؤمنوا و لن تؤمنوا حتی تحابوا الا انبئکم بما یثبت ذلک لکم افشوا السلام بینکم و قال صلی الله علیه و اله و سلم کاد الفقر ان یکون کفرا و کاد الحسد ان یغلب القدر و قال صلی الله علیه و اله و سلم انه سیصیب امتی داء الامم قالوا و ما داء الامم قال الاشر و البطر و التکاثر و التنافس فی الدنیا و التباعد و التحاسد حتی یکون البغی ثم یکون الهرج و قال صلی الله علیه و اله و سلم لا تظهر الشماتة باخیک فیرحمه الله و یبتلیک و روی ان موسی علیه السلام لما تعجل الی ربه رای فی ظل العرش رجلا فغبطه بمکانه و قال ان هذا لکریم علی ربه فسال ربه ان یخبره باسمه فلم یخبره باسمه و قال احدثک من عمله بثلث کان لا یحسد الناس علی ما اتاهم الله من فضله و کان لا یعق والدیه و لا یمشی بالنمیمة و قال زکریا علیه السلام قال الله تعالی الحاسد عدو لنعمتی متسخط لقضائی غیر راض لقسمتی التی قسمته بین عبادی و قال صلی الله علیه و اله و سلم اخوف ما اخاف علی امتی ان یکثر لهم المال فیتحاسدون و یقتتلون و قال صلی الله علیه و اله و سلم استعینوا علی قضاء الحوائج بالکتمان فان کل ذی نعمة محسود و قال صلی الله علیه و اله و سلم ان لنعم الله اعداء فقیل و من اولئک قال الذین یحسدون الناس علی ما اتیهم الله من فضله و قال صلی الله علیه و اله و سلم ستة یدخلون النار قبل الحساب بستة قیل یا رسول الله من هم قال الامراء بالجور و العرب بالعصبیة و الدهاقین بالتکبر و التجار بالخیانة و اهل الرستاق بالجهالة و العلماء بالحسد

اقول و من طریق الخاصة ما رواه فی الکافی عن ابی جعفر علیه السلام قال ان الرجل لیاتی بادنی بادرة فیکفر و ان الحسد لیاکل الایمان کما تاکل النار الحطب و عن ابی عبد الله علیه السلام قال آفة الدین الحسد و العجب و الفخر و عنه علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه و اله و سلم قال الله تعالی لموسی بن عمران یا ابن عمران لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضلی و لا تمدن عینیک الی ذلک و لا تتبعه نفسک فان الحاسد ساخط لنعمی صاد لقسمی الذی قسمت بین عبادی و من یک کذلک فلست منه و لیس منی و عنه علیه السلام قال اتقوا الله و لا یحسد بعضکم بعضا ان عیسی بن مریم علیهما السلام کان من شرایعه السیح فی البلاد فخرج فی بعض سیحه و معه رجل من اصحابه قصیر و کان کثیر اللزوم لعیسی فلما انتهی عیسی الی البحر قال بسم الله بصحة یقین منه فمشی علی ظهر الماء فقال الرجل القصیر حین نظر الی عیسی جازه بسم الله بصحة یقین منه فمشی علی الماء و لحق بعیسی فدخله العجب بنفسه فقال هذا عیسی روح الله یمشی علی الماء و انا امشی علی الماء فما فضله علی قال فرمس فی الماء فاستغاث بعیسی فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما قلت یا قصیر قال قلت هذا روح الله یمشی علی الماء و انا امشی فدخلنی من ذلک عجب فقال له عیسی لقد وضعت نفسک فی غیر الموضع الذی وضعک الله فیه فمقتک الله علی ما قلت فتب الی الله مما قلت قال فتاب الرجل و عاد الی مرتبته التی وضعه الله فیها فاتقوا الله و لا یحسدن بعضکم بعضا و عنه علیه السلام قال ان المؤمن یغبط و لا یحسد و المنافق یحسد و لا یغبط و فی مصباح الشریعة عنه علیه السلام قال الحاسد مضر بنفسه قبل ان یضر بالمحسود کابلیس اورث بحسده لنفسه اللعنة و لادم الاجتباء و الهدی و الرفع الی محل حقایق العهد و الاصطفاء فکن محسودا و لا تکن حاسدا فان میزان الحاسد ابدا خفیف بثقل میزان المحسود و الرزق مقسوم فماذا ینفع الحسد الحاسد و ماذا یضر المحسود الحسد و الحسد اصله من عمی القلب و جحود فضل الله و هما جناحان للکفر و بالحسد وقع ابن ادم فی حسرة الابد و هلک مهلکا لا ینجو منه ابدا و لا توبة للحاسد لانه مصر علیه معتقد به مطبوع فیه یبدو بلا معارض به و لا سبب و الطبع لا یتغیر عن الاصل و ان عولج **قال** ابو حامد الاثار قال بعض السلف ان اول خطیئة کانت هی الحسد حسد ابلیس ادم اذ امر ان یسجد له فحمله الحسد علی المعصیة و قال بکر بن عبد الله المزنی کان رجل یغشی بعض الملوک فیقوم بحذاء الملک فیقول احسن الی المحسن باحسانه و المسیء سیکفیکه مساویه فحسده رجل علی ذلک المقام و الکلام فسعی به الی الملک فقال ان هذا الذی یقوم بحذائک و یقول ما یقول یزعم ان الملک ابخر فقال له الملک فکیف یصح ذلک عندی قال تدعوه الیک فاذا دنی منک وضع یده علی انفه لئلا یشم ریح البخر فقال له انصرف حتی انظر فخرج من عند الملک فدعا الرجل الی منزله فاطعمه طعاما فیه ثوم فخرج الرجل من عنده و قام بحذاء الملک فقال احسن الی المحسن باحسانه و المسیء سیکفیکه مساویه فقال له الملک ادن منی فدنی منه

فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ادرى فلانا الا صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك امر لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الى الملك قال ليس لكتابه مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلما وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وسئل بعضهم هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك وانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقيل كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل ٭ كل العداوة قد يرجى مودتها ٭ الا عداوة من عاداك من حسد ٭ وقد قال بعض الحكما الحسد جرح لا يبرى وبحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه** اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم تغمك نعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة سخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا

دخصة

رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيها مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم فقال قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اي لا يضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان يتفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا انا نسئلك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه واله وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ذا ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه واله وسلم فيسئلانه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي عليه السلام حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجهد كل واحد ان يسبق صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على ملكته

فی الحق ورجل اتاه الله علما فهو یعمل به ویعلمه الناس ثم فسر ذلک فی حدیث ابی کبشة الانصاری فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل اتاه الله مالا وعلما فهو یعمل بعلمه فی ماله ورجل اتاه الله علما ولم یؤته مالا فیقول رب لوان لی مال فلان کنت اعمل فیه بمثل عمله فهما فی الاجر سواء وهذا منه حب لان یکون له مثل ما کان له من غیر حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ینفق فی معاصی الله ورجل لم یؤته الله مالا فیقول لو ان لی مال فلان کنت اعمل بمثل عمله فهما فی الوزر سواء فذمه رسول الله صلی الله علیه واله وسلم من جهة تمنیه للمعصیة لا من جهة حبه ان یکون له من النعمة مثل ماله فاذاً لاحرج علی من یغبط غیره فی نعمة ویشتهی لنفسه مثلها مهما لم یحب زوالها عنه ولم یکره دوامها له نعم ان کانت تلک النعمة نعمة دینیه واجبة کالایمان والصلوة والزکوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان یحب ان یکون مثله لانه ان لم یحب ذلک فیکون راضیا بالمعصیة وذلک حرام وان کانت النعمة من الفضایل کانفاق الاموال فی المکارم والصدقات فالمنافسة فیها مندوب الیها وان کانت نعمة یتنعم فیها علی وجه مباح فالمنافسة فیها مباح وکل ذلک یرجع الی ارادته مساواته واللحوق به فی النعمة ولیس فیها کراهة النعمة وکان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم علیه والاخر ظهور نقصان غیره وتخلفه عنه وهو یکره احد الوجهین وهو تخلف نفسه ویحب مساواته له ولا حرج علی من یکره تخلف نفسه ونقصانها فی المباحات نعم ذلک ینقص من الفضل ویناقض الزهد والتوکل والرضا ویحجب عن المقامات الرفیعة ولکنه لا یوجب العصیان وههنا دقیقة غامضة وهو انه اذا یاس عن ان ینال مثل تلک النعمة وهو یکره تخلفه ونقصانه فلا محالة یحب زوال النقصان وانما یزول نقصانه اما بان ینال مثلها او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احدی الطریقین فیکاد القلب لا ینفک عن شهوة للطریقة الاخری حتی اذا زالت النعمة من المحسود کان ذلک اشهی عنده من دوامها اذ بزوالها یزول تخلفه وتقدم غیره وهذا لا یکاد ینفک القلب عنه وان کان بحیث لو القی الامر الیه وردّ الی اختیاره لسعی فی ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان کان یزعه التقوی عن ازالة ذلک فیعفی عنه ما یجده فی طبعه من ارتیاح الی زوال النعمة عن محسوده مهما کان کارها لذلک من نفسه بعقله ودینه ولعله المعنی بقوله صلی الله علیه واله وسلم ثلث لا ینفک المؤمن عنهن الحسد والظن والطیرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ ای ان وجدت فی قلبک شیئا فلا تعمل به وبعیدان یکون الانسان مریدا للحاق باخیه فی النعمة فیعجز عنها ثم ینفک عن میل الی زوال النعمة او یجد لا محالة ترجیحا له علی دوامها فهذا الحد من المنافسة یتاخم الحسد الحرام فینبغی ان یحتاط فیه فانه موضع الخطر ومامن انسان الا وهو یری فوق نفسه من معارفه واقاربه من یحب ان یساویه ویکاد یجره ذلک الی الحسد المحظور ان لم

یکن

یکن قوی الایمان رزین التقوی ومهما کان محرکه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غیره یجره ذلک الی الحسد المذموم والی میل الطبع الی زوال النعمة عن اخیه حتی ینزل هو الی مساواته اذ لم یقدر هو ان یرتقی الی مساواته بادراک النعمة وذلک لا رخصة فیه اصلا بل هو حرام سواء کان فی مقاصد الدین او مقاصد الدنیا ولکن یعفی عنه ذلک ما لم یعمل به ان شاء الله وتکون کراهته لذلک من نفسه کفارة له فهذه حقیقة الحسد واحکامه اما مراتبه فاربع الاولی ان یحب زوال النعمة عنه وان کانت لا تنتقل الیه وهذا غایة الخبث الثانیة ان یحب زوال النعمة عنه لرغبته فی تلک النعمة مثل رغبته فی دار حسنة او امراة جمیلة او ولایة نافذة او سعة نالها غیره وهو یحب ان یکون له ومطلوبه تلک النعمة لا زوالها عنه ومکروهه فقد النعمة لا تنعم غیره بها الثالثة ان لا یشتهی عینها بل یشتهی لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها عنه کیلا یظهر التفاوت بینهما الرابعة ان یشتهی لنفسه مثلها فان لم یحصل فلا یحب زوالها عنه وهذا الاخیر هو المعفو عنه ان کان فی الدین والثالثة فیها مذموم وغیر مذموم والثانیة اخف من الثالثة والاولی مذموم محض وتسمیة الثانیة حسدا فیه تجوز وتوسع ولکنه مذموم قال الله تعالی ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضکم علی بعض فتمنیه لمثل ذلک غیر مذموم اما تمنیه عین ذلک فمذموم

بیان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فیه المنافسة فان کان ذلک امرا دینیا فسببه حب الله تعالی وحب طاعته وان کان دنیویا فسببه حب مباحات الدنیا والتنعم فیها وانما نظرنا الان فی الحسد المذموم ومداخله کثیرة جدا ولکن یحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والکبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الریاسة وخبث النفس وبخلها فانه انما یکره النعمة علیه اما لانه عدوه فلا یرید له الخیر وهذا لا یختص بالامثال بل یحسد الخسیس الملک بمعنی انه یحب زوال نعمته لکونه مبغضا له بسبب اساءته الیه او الی من یحبه واما ان یکون من حیث یعلم انه سیستکبر بالنعمة علیه وهو لا یطیق احتمال کبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان یکون فی طبعه ان یتکبر علی المحسود ویمتنع ذلک علیه بنعمته وهو المراد بالتکبر واما ان یکون النعمة عظیمة والمنصب کبیرا فیتعجب من فوز مثله بمثل تلک النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان یخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان یتوصل بها الی مزاحمته فی اغراضه واما ان یکون یحب الریاسة التی یبتنی علی الاختصاص بنعمة لا یساوی فیها واما ان لا یکون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخیر لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب **السبب الاول** العداوة والبغضاء وهو اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه فی غرض بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب علیه ورسخ فی نفسه الحقد والحقد یقتضی التشفی والانتقام فان عجز

الارکان فی الدنیا والبدن و...

المبغض عن ان يتشفى منه بنفسه احب ان يتشفى منه بتغير الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بذلك وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانها اصابته لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه **السبب الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وسبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين

للتوصل

للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهين المحصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل الى اغراض له **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان يبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فيما انعم عليه فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا الخبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة ويتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته وضعفه في غيرهم

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع لهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد

لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد يتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر والاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما يحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلاجرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ويتفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض ولذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص واصل هذه المحاسدة العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد فالغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلاجرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد

العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اعيان واجسام ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه متغذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتاح في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها ولا ينال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة العليين الى مضيق السجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها ففتر عنه رايك وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور فالمخنث والعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع

والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة ايضا يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوي امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدين والدنيا بل ينتفع بها في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة على المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكى نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى ينقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى ينقضي المدة التي سبق القضاء بدوام

اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول او الفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة وكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حيوتك ولكن في عذاب الحسد والغم لتنظر الى نعمة الله عليه وتنقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات اعداؤك بل خلدوا • حتى يروا فيك الذي يكمد •
لا زلت محسودا على نعمة • فانما الكامل من يحسد •
ولا خلاك الدهر من حاسد • فانما الفاضل من يحسد •

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت مما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق

شقيا في الجال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت اوابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه لما راك محروما من نعمة العلم و الورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عليك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه و دنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه واله وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه و اله وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثرة صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم انت مع من احببت قال الراوي فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر ثقتهم كان بحب الله ورسوله وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه واله و سلم هو مع من احب وقيل ان لم تكن عالما ولا متعلما فكن محبا والا فلا تبغضهم فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغضه اليك وحملك على الكراهة حتى اثمت فكيف لا وعساك ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به واغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدخل بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك في عدوك بل في نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود فيرميها اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثا ويرميها على راسه فشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذه حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد الى راميه لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم

والاثم

والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها منه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه **واما العمل النافع فيه** فهو ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة التي يقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعم يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل من عزتها وتعود القلب الى التالف والتحاب وبه يستريح القلب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا لكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما يهون مرارة الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما احبه الله وعزة النفس و ترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخيبة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما يريد او بان يريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة

لعدوه صح

الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان نعته على كف الانعام عنه صح

فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تقمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم يقمع المادة لم يحصل ما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك لا يمكنك ان لا تبغضه غالبا واذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت اذن حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح واما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهية من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة وتصبب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله

وافعالهم افعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم و يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه وروي مرفوعا انه ثلثة في المؤمن له منهن مخرج و مخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرنا من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال النعمة عن العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهرها على ان كل حاسد اثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل محب لمساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه اثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه هذا اخر كتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله

كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا واخرا

والصلوة على محمد واهل بيته

وسلم

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا الى شواهدها واياتها ووزنوا بحسناتها سياتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة يستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبايح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لا تومن من شرها و وبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التفاوت دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وافاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل متعزز بها الى الذل مصيره وكل متكثر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها و شوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قوائل سمها ورشقتهم بصوائب سهمها فبينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها وطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته عن قريب حصيدا كان لم تغن بالامس تمنى اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا و يبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وغمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها و عولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها

ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله **بيان ذم الدنيا** الايات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة الميتة هينة على صاحبها قالوا نعم من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه واله وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه واله وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وعنه صلى الله عليه واله وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه واله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال صلى الله عليه واله وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه لكم فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الافة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم في الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة

وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا لا تطلبه الاخرة حتى يجي الموت فياخذ بعنقه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه واله وسلم الهيكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه واله وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه واله وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله عز وجل لا ينظر اليها ويقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي ان الله عز وجل لما اهبط ادم من الجنة الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفنا وروي في اخبار ادم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهى الله عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال ادم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تريد ان تضعه اعلى الفرش ام على السرير ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصومون ويصلون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال صلى الله عليه واله وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا قد خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبرئيل عليه السلام

قال

قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من اخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروي انه صلى الله عليه واله وسلم خرج ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنا وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله بذلك ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب بيتا يلجا اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده على راسه وقال الهي جعلت لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة الف حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا العامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها

بنيان

فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى صلوات الله عليه بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في هاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وروى ان ناقة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدا ولبكيتم على انفسكم و تركتم اموالكم بلا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لابد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تتناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك بامور كم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراق في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم به محمد صلى الله عليه واله وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة قلوبكم فنعذركم انكم لتبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم

حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون عليها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالهم اني لارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم فالحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا و بالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال صلى الله عليه واله وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقط لم اغفر له وهو يحب الدنيا وقال علي عليه السلام من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف لك من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له عليه السلام ذلك مرة فقال اطول او اقصر فقال قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال عليه السلام انما هي ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة و اشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة ليزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان

فصل اقول ومن طريق الخاصة عن اهل البيت عليهم السلام في ذم الدنيا ما فيه بلاغ لقوم عابدين وسيما عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام وناهيك ما في كتاب نهج البلاغة من كلماته عليه السلام في هذا الباب وقد اسلفنا كلاما له عليه السلام فيه في كتاب العلم من ربع العبادات عند ذكر علامات علماء الاخرة وفي الكافي

عن ابي عبد الله عليه السلام قال خرج النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان ينقص شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال له الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بجدي اسك ملقا على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لعله لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان في طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفي طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما لي وللدنيا وما انا والدنيا انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال ما اعجب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شيء من الدنيا الا ان يكون فيها جائعا خائفا وعنه عليه السلام قال ان في كتاب علي عليه السلام انما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي اليها الصبي الجاهل وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وقوي وشبع وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة فاطفا بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الاخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا

من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار في النار معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن عبيد الله بن شهاب قال سئل علي بن الحسين عليهما السلام اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه واله وسلم افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحوا حين قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن جابر قال دخلت على ابي جعفر عليه السلام فقال يا جابر والله اني لمحزون واني لمشغول القلب قلت جعلت فداك وما شغلك وما حزن قلبك فقال يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم واعلم يا جابر ان اهل التقوى ايسر اهل الدنيا مؤنة واكثرهم لك معونة تذكر فيعينونك وان نسيت ذكروك قوالون بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا الى الله تعالى والى محبته بقلوبهم وعلموا ان ذلك هو المنظور اليه لعظيم شانه فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه

عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم صح

شئ ان انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله من دينه وحكمته ولا تسالن عما لك عنده الا ماله عند نفسك فان تكن الدنيا على ما وصفت لك فتحول الى دار المستعتب فلعمري لرب حريص على امر قد شقي به حين اتاه ولرب كاره لامر قد سعد به حين اتاه وذلك قول الله تعالى وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين وعنه عليه السلام قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن عبد الله بن القاسم عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال ما يطلب احد الحق بباب افضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق قلت جعلت فداك ماذا قال من الرغبة فيها وقال الا من صبار كريم فانما هي ايام قلائل الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا قال وسمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره قال وسمعته يقول ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو وعنه عليه السلام قال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام قال من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وعنه عليه السلام قال مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وعن ابي ابرهيم عليه السلام قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحديهما واتردى بالاخرى وعن الرضا عليه السلام قال قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم

فصل قال ابو حامد في الاثار قال لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة او غداء يوم فلا تهلك نفسك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ؛ فسوف لعمري عن قريب يلومها ؛ اذا ادبرت كانت على المرء حسرة

وان اقبلت كانت كثيرا همومها ؛ وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص وقال الخرا ما ترى النعم كانها مغصوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبك وياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقر الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا وديعة ؛ ولا بد يوما ان ترد الودايع ؛ وتذاكر رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت لهم اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ؛ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ؛ فطوبى لعبد اثر الله ربه ؛ وجاد بدنياه لما يتوقع ؛ وقيل ارى طالب الدنيا وان طال عمره ؛ ونال من الدنيا سرورا وانعما ؛ كبان بنى بنيانه فاتمه ؛ فلما استوى ما قد بناه تهدما ؛ وقيل ايضا هب الدنيا تساق اليك عفوا ؛ اليس مصير ذاك الى انتقال ؛ وما دنياك الا مثل فيء ؛ اظلك ثم اذن بالزوال ؛ وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم وقيل يا خاطب الدنيا الى نفسها ؛ تنح عن خطبتها تسلم ؛ ان التي تخطب غدارة ؛ قريبة العرس من الماتم ؛ وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الله الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل وما الناس الا هالك وابن هالك ؛ وذو نسب في الهالكين عريق ؛ اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ؛ له عن عدو في ثياب صديق ؛ وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله ؛ ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ؛ افنى القرون التي كانت منعمة ؛ كر الجديدين اقبالا وادبارا ؛ يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ؛ يمسي ويصبح في دنياه سفارا ؛ هلا تركت من الدنيا معانقة ؛ حتى تعانق في الفردوس ابكارا ؛ ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ؛ فينبغي لك ان لا تامن النارا ؛ وقال ابو امامة الباهلي لما بعث النبي صلى الله عليه واله وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم

قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا اتبع وقيل اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها استقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدتها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم بيوم وليلة بليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له معاوية سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما ساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما اقدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنا فقال انما نال الغنا من عتق من رق الدنيا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليها وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي تحبه في الاخرة كانك تحبه في اليقظة وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقيل من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفاتها خطب علي عليه السلام يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالعناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء

وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما كان بينهم من قرب الجوار ودنو الدار بالديار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم بكلكلة البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قضيت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه واحبائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال عليه السلام ايضا في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه اقول وفي الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام يا موسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذا لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه واترك من الدنيا ما بك الغنا عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها موكل الى نفسه واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن

احدا برضا الناس عنه حتى تعلم ان الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة الناس له و اتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه وعنه عليه السلام قال فيما وعظ به لقمان ابنه يا بنى ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستاجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف عملك واستوف اجرك ولا تكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت فى زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها اخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسال غدا اذا وقفت بين يدى الله تعالى عن اربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما انفقته فتاهب لذلك واعد له جوابا ولا تاس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك وجد فى امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة فى قلبك و انكمش فى فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد وعنه عليه السلام قال كان ابو ذر رضى الله عنه يقول فى خطبته يا مبتغى العلم كان شيئا من الدنيا لم يكن شيئا الا ما ينفع خيره ويضر شره الا من رحم الله يا مبتغى العلم لا يشغلك اهل ولا مال عن نفسك انت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم والدنيا والاخرة كمنزل تحولت منه الى غيره وما بين الموت والبعث الا كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا مبتغى العلم قدم لمقامك بين يدى الله تعالى فانك مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغى العلم قال ابو حامد قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله قد احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فلا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك

الى

الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطى حاجته منها لانه يتوقع افة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او ياتى سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشىء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هى الاخذة ما تعطى الراجعة فيما تهب بينا هى تضحك صاحبها اذا ضحكت منه غيره وبينا هى تبكى له اذا بكت عليه وبينا هى تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج براس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا و قال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هى زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكنى ارغب بكما عن ذلك فازوى ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائى انى لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما تزين لى اوليائى بالذل والخشوع والخوف والتقوى يثبت فى قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يامِلون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيمة وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخرمك بلياليه وايامه حتى تستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتى عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها وظاهر افعالها وما ياتى به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء قد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتقلب الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب بعضهم فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به

فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم لهلكى وقيل لمحمد بن الحسين لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها وقال كلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما يسد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق الله مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتريها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند بعضهم انشد وقال

احلام نوم او كظل زائل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا البيت

يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ... ان اغترارا بظل زائل حمق

وكان يروى انه له ويقال انه نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته ... ولا بد يوما ان ظلك زائل

ولذلك قيل وان امرا دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

مثال اخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي والدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذا انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا فقال احلام النيام

مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر

مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس

ظاهرها

بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وعن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فيشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بن عياض بلغني ان رجلا عرج بروحه الى السماء فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء راه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من انت قالت انا الدنيا

مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى صلى الله عليه واله وسلم بعض اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف كان فلا بد له من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان

مثال اخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي عليه السلام الى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر

ماتكون منها احذر ماتكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصته عنه مكروهة والسلام

مثال اخر للدنيا وتعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه واله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وتلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتزق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلوات الله عليه بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم الدابة اذا لم تركب ولم تمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت وبنصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتحلل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله

مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق عن النبي صلى الله عليه واله وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع

مثال اخر لتادية علايق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله

مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ولنضارة اوايلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهية والفتن والقبح ما يجد للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست توتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب اللبن عليه والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل قد ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن ادم وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم

مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا فانظر الى ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه قبل قد اتيتم يطيبونها بالافاوية والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه قيل لبعضهم اذا قضى احدنا حاجته ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك ليقول له هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار

مثال اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل

مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وحسراتهم العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المقام خاليا فاخذ اوسع الاماكن واليقها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة فصار يلتقط من احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج في الغياض ونسي المركب وبعد من متفرجه ومتنزهه منها حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتنسم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هايل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على شاطئ البحر حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والحجارة المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رايحتها

فصار مع كونه مضيقا عليه متاذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هاربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروايح فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الحيوة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالخوف والحزن عليه وهذا هو حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل

مثال اخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله تعالى في تحذيره اياهم غوائل الدنيا روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل

مثال اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها

اقول وههنا مثال اخر اورده شيخنا الصدوق رحمه الله في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة ناقلا عن بعض الحكماء لا باس بايراده وهو هذا

مثال اخر ما اشبه حال الانسان

واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزال يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسال الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان تجتنب وما الذي لا تجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام

القسم الاول ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو

من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل للقسم الاول على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور المشيدة ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله واعلم ان صفاء القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث فاما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وقد قيل في ذلك ما حال من كان له واحد يؤخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة

البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم ولحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الازمان والدهور دون غايتها وكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فهو ينقص من حظه في الاخرة اضعافه والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه واله وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو للدنيا وما هو لله فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فهذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله و

ليست من الدنيا وان كان الغرض من النظر طلب العلم للتشرف وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله ومنها ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله و ذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه واله وسلم من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى واعلم ان مجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن و ملبس فهو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فياتي عليه السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأوي الى منزله بعد العشاء الاخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط الى المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترموني فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء وهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن

فا

من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى سقطت عليه فوجدته جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضا ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية عليه ازار من صوف ورداء من صوف متغير اللون جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فهبت فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا راني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبانى العليم الخبير عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل شاغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من القران اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت انت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك ادم وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن

بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه واله وسلم رسول رب العالمين ومات ابوبكر ومات عمر ثم قال واعمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال قد نعاه الى ربي ونعاه الى نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه واله وسلم ثم دعا الى بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة بقدر شبر فيفارقك دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه مادام في الدنيا حيثما كان وضم عليه صنيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله لا تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هولاء الناس مادمت حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وانه لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الاخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله عز وجل فذلك ليس من الدنيا وتبيين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم يقول الا ان من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل

فهذه ثلثة امور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات والحيوان واما المعادن فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد اما النبات فيطلبها الادمي للاقتيات وللتداوي واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للماكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها فيغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللالي واليواقيت والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومالهم ومنقلبهم لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي تسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا

يدخل بيت الماء الا للضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البدن وبين اخراجه من البطن واكثر ما شغل الناس عن الله هو البدن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها و سبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلثة القوت والمسكن والملبس القوت للغذاء والبقاء والملبس لرفع الحر والبرد والمسكن لذلك ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق الله ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يوثر في ابدانها فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة فللمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص يعني به تحصيل ما خلق الله من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنعة ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما توخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل على خشب كيفما كان و بالحداد كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابريز وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس و لتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم

ليس

ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو محتاج الى الالات ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد اهل كل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل لدفع الحر والبرد ولدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في البلاد والمنازل وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ يحدث بينها رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف محتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد تخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم او تعرض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون التي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعات اخر ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مثلا مع الاعداء تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس و استضر الخلق فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة

فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهم الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلثة طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت و المسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى و هكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات فالمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهو الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة الصيد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان اليه فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطر الى حانوت يجمع الة كل صنعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منه صاحب الانبار ويترصد بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها انتظارا لارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد

والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون بها فيتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخساسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب المبايعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب و النحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة و هكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى تنتهي الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه منه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما سعى فيه غيره فتحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون عن اللصوص والمكدين ويحفظون منهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدبيرات اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره فقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج و

التجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب للرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى ينشط قلوبهم عند مشاهدتها حتى تسخو برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة مثل النوارج والعجائب وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لاسيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت عليهم السلام او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة البطالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشايش الى من يخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال والزجر من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المتكدون على رؤس المنابر اذ لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة لكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلب عليهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون لياكلوا فهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو ان ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوات الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء طائفة نسوا انفسهم وصرفوا همهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غايات السعادات فيشغلهم ذلك عن الله واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكنز الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللاكل لذتها وحسابها ثم ان الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك في اشباههم وامثالهم ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم و

انطلاق

انطلاق الالسن بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الخلق وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همتهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولاية وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في اخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعت لهم الى مبادي لم يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان فلم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من عباد الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص منهم من سجن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة فشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد والزندقة وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص

ولا يريد عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة فطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله ان يمتحنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالة هائلة وخيالات فاسدة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما يخلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيؤخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ به من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية اقول وقد عرفت معنى الفرقة الناجية في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات قال وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كانوا بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله كما سبق ذكره في مواضع والله المستعان لا رب سواه وصلى الله على محمد واله اجمعين هذا اخر كتاب ذم الدنيا من ربع

المهلكات من المحجة البيضاء في احياء

الاحياء ويتلوه ان شاء الله

كتاب ذم المال والحمد لله

اولا واخرا وظاهرا

وباطنا وصلى الله

على محمد واله

كتاب ذم المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والافات وفوائدها من المنجيات وافاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنا وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحديهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدى الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والاخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرح في فصول وهي اربعة عشر فصلا وهي بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وافاته ثم بيان ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات

البخل ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنا و مدح الفقر **بيان ذم المال وكراهة حبه** قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه واله وسلم هلك الاكثرون مالا الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه واله وسلم سياتي بعدي قوم ياكلون اطائب الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه واله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه واله وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه واله وسلم اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى بن مريم ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره

وكذا

وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الان ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه واله وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي انه وضع على عليه السلام درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال ايضا مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسال عنه كله وقيل ما اعز الدرهم احدا الا اذله الله وقال العلا بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان سرك ان يعيذك الله من شري فابغض الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقال غيره لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس هو بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادات لا تنال الا بثلثة وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر

وذلك لان الدينار والدرهم صح

الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما يحصل الغرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة فهي المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة ويسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه واله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم صلوات الله عليه فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وفي بعض التفاسير انه عنى بهما هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في شيء من الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه واله وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش بين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل آفات المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها وفوائدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها **اما الفوائد** فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات

نها

وانتكش

القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم يتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمله في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهية اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته ويتعذر عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان تقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المسجد والقناطير والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة **الاولى** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية

٧ نسخ الاولى

ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثاني** ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق يثور العداوة والصداقة وينبني عليه الحسد والحقد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزمه من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالث** وهو الذي لا ينفك عنه احد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلث افات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال بالفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا

منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن ادم واديا من ذهب لاحب ان يكون له الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله وسلم يهرم ابن ادم ويشب منه اثنتان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الغنا عن كثرة العرض انما الغنا غنا النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال صلى الله عليه وآله وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قانعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدث بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس عما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه وقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا

تبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال ولقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه الآثار قيل لبعض الحكماء ما الغنا قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قيل أرفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيأ يورقه وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك ما لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكل ما قد غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت وقال الشعبي حكى ان رجلا صاد قنبرة قالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما طارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل وقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة فقالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك

وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله فلو لم تكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحا اضراسه بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني بها الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه واله وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنا والفقر والعدل في الرضا والغضب وروى ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه واله وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان لم تشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتمال التعب ويضحك عليه في احتمال التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعبه

في ثاني الحال عدما لايكون وفي مثله قيل ومن ينفق الساعات في جمع ماله · مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال لهما لاتيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما
فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
بابن مسعود وهو حزين فقال له لاتكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتيك وقال صلى الله عليه واله وسلم
الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك
الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال
في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه
لاجله قال صلى الله عليه واله وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال بعضهم اتق
الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقد الضرورة بان يلقي الله في قلوب المؤمنين ان يوصلوا اليه
رزقه وقال الفضيل قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا
من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو
طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع
الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه
لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص
من الذل فاذا تحقق له ذلك انبعث رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من
ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب
الاخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والاثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق
فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك
دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه واله
وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت
نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تامله في تنعم اليهود
والنصارى واراذل الناس والحمقاء من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء
والاولياء الى سمت الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون
على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر

على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير
اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل
ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه
من افات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما
ذكرناه من افات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه
التحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه في الدنيا لا الى من
هو فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من هو فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون
في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان
اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي
صلى الله عليه واله وسلم ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وعنه صلى الله عليه
واله وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل
عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية
صبره في الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي تصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في
الشفاء **بيان فضيلة السخاء** اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص
وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان
السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه واله وسلم حيث قال السخاء
شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن
يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعنه صلى الله
عليه واله وسلم ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال الصبر والسماحة وعنه صلى الله عليه واله وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله
عز وجل فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق
والبخل فاذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال
قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن
الكلام وعنه صلى الله عليه واله وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم

فاني جعلت فيهم رضائي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثير بين جبلين من شياه الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باسارى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب عليه السلام يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم نزل علي جبرئيل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه واله وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعنه صلى الله عليه واله وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه واله وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وعنه صلى الله عليه واله وسلم الجنة دار الاسخياء وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله وقال صلى الله عليه واله وسلم ان بدلاء امتي لم تدخل الجنة بصلوة ولا بصيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله عليه واله وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه واله وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه واله وسلم كل معروف صنعته الى غني او فقير صدقة وروي

ان

ان الله اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت وقال علي عليه السلام اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسأل معاوية الحسن بن علي عليه السلام عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ودفع رجل الى الحسين بن علي عليه السلام رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله تعالى عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال علي بن الحسين عليه السلام من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر اذا كان ثقته بثواب الله تاما وقال جعفر الصادق عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر والكفر في النار والجود والكرم من الايمان والايمان في الجنة وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي عليهم السلام يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقي به العرض وتمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله او لذوي القرابة او دع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم قال لي فقال اما انه ليس لك حتى تخرجه من يدك وفي معناه قيل انت للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال بعضهم بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت اياديه عنده

وقال بعضهم اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده **حكايات الاسخياء** قيل بكى علي عليه السلام يوما فقيل له ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني وسال رجل الحسن بن علي عليهما السلام حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام بما أتكلف من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل ولشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن عليه السلام وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهم الحسن عليه السلام رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجوا ان يكون لي عند الله اجر عظيم وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا فاقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم يقولون نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي عليه السلام جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشترى لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين عليه السلام فقال لها الحسين بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بن جعفر بالفي شاة والفي دينار ثم قال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف دينار واربعة الاف شاة واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم

وادخلهم

وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه وارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب الا وهبت لي نخلتك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلبه الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع

قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها فيها ودعى بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الثالث قراها فيها ودعى بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان يطير بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا له بالف دينار فدفعها اليه وقال استنفق هذا فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان قد خلف الميت نجيبا معروفا وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم من نحر بعيره فقام ونحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم وذكر القصة فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم

وهو يقول ان كنت ابني فادفع بحيى الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق وقد اقعده الدهر واضر به المرض فقال له يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب ينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد فقال لاهله ما لهولاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل له انها كانت تقنع باقل من هذا فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي وكان خيثمة بن ابي عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا و قيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل له انهم تستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا ينادي من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي الحجازي بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه وقلت ولد لي مولود وليس معي شيء قال فقام معي ودخل على جماعة فلم يتيسر له بشيء فجاء الى قبر رجل كان يعرفه وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك بشيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به ورأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له انزل وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي فيه حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا

عليه حمل الدنانير وجاء الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري اي هولاء اسخى واتى رجل صديقا ودق عليه الباب فقال لم جئتني قال علي اربعمائة دينار دينا فوزن اربعمائة واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه واله وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا اتسعت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا يتسع وقال صلى الله عليه واله وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه واله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه واله وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه واله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه واله وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه واله وسلم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري

رجلان على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله تعالى لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه واله وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج النار الا بخيل وعنه صلى الله عليه واله وسلم انه قال من سيدكم يا بني مسلمة قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنتهمه بالبخل فقال صلى الله عليه واله وسلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء بن المعرور وقال علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته وعنه صلى الله عليه واله وسلم البخيل الجهول احب الى الله عز وجل من العابد البخيل وعنه صلى الله عليه واله وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه واله وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى واجل قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله

ابي

اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال علي عليه السلام في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عليه السلام ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض

الاثار

قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقيل وفد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحم وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال الاهل البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به الله ملكين يناديان اللهم اجعل للممسك تلفا وللمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه واله وسلم انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه واله وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اخاف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه

طباهجة بيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يلتوي فلما اجهده الامر وصف حاله لطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت والله لا ايقئ طباهجة بيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن شيئا من القران قال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال اين والتين قال هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخاله ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يالفه عنه وقال له قائل صف مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افيا كل معه احد قال بل الذباب فقال سوءة لك انت خلص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط بها فقال الا استعرت منه قال ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب عليه السلام يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعرنا اياها لتخيط به قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان ابن مروان بن ابي حفصة بخيلا لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نريك لا تاكل الا الرؤس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف شعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا ولسانه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطى ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل فيقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضيلته

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اليه اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج

والا س

فانظر

فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة وكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ثم يشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع انه لا حاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه واله وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم البارحة ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخا وكان ذلك من داب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه واله وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك لكني اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انما جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الالات واعتق الغلام ووهبه له وقيل اهدي الى الرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث اليه به فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام اني اخيت

٧ به

بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحبا فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اني اخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه واله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به وبه رمق فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا هو ان يشرب فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه به فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة فرجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب على الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقيت العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف الناس فيه فيقول قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذن لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما معنى البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به

صفة

١٣٠

صفة السخاوة وثوابها فيقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب وكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوا عليها او تمرة اكلوا من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه واخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها وان اريد به يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع اهله وعياله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل

عد ما الجود فقيل

عجيب

بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطى من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف في الاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايق في الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة بحب المال فهو بخيل وبقي درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رفعا للدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لرفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات واذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير غرض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى

فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكن اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا ومن ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله تعالى سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شيء سخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسب احدكم ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام له الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته ويفضل الاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل منها او يتصدق بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسر العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات

عـ يمداواة

فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو لجهله الا من حيث قضى حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله لنفسه فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال قد خطر لي الان بذله ولا امن على نفسي ان تتغير ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسامح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب له خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينقل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى

بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في الاخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقابلان الى ان يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحد ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت عن الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع الى معرفة افة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت ومن عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزوايتهم فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خليقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلوب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منها نالته منه مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال فكيف قال ان انكسر صار مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة

لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو يذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف افات المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة **بيان مجموع الوظايف التي على العبد في ماله** اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف **الاولى** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية** ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جهة جانب القلة ومقربا من حد الضرورة كان محقا ويجي في جملة المحققين فان جاوز ذلك وقع في هاوية لا اخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** ان يراعي جهة الخرج و يقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق و الامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فليكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على العبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون نيتك في كل ما تحفظه من قميص وازار و فراش وانية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه الاغنياء من الصحابة فشانه شان الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ

الحية ويتصرف بها ليخرج ترياقها فيقتدي به وهو يظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها و مستلينا جلدها فياخذها اقتداء به فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في التخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال **بيان ذم الغنى ومدح الفقر** اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال فيه و نقتصر فيه على حكاية فصل ذكره حارث المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنيا حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال بعضهم وشبه نفسه بهم والمحاسبي له قدم في علم المعاملة وله السبق على اكثر الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى صلوات الله عليه قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا ينقضي شهوته من الدنيا ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين و تقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان يقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يرفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهولاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجاه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا و

الاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم كانت لهم اموال فيتزينون المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون متى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت بمحمد صلى الله عليه واله وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال الحلال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عنه كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رءوفا ومتى زعمت ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله عز وجل لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل ولذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بمواضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلعل ود ابن عوف في القيمة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر رضي الله عنه فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى انتهى الى عثمان يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر رحمه الله يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه واله وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك فلم يرد جوابا حتى خرج وبعد فالعجب كل العجب

لكل مفتون يتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت ويتكالب على اوساخ الناس وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة ويتقلب في فتن الدنيا ثم يحتج بالصحابة ولعمري لقد كانت لبعض الصحابة اموال ارادوا بها التعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت انك لبعيد التشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه واله وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بمحمد صلى الله عليه واله وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد التشبه بالقوم وساصف لك احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما ولعلك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليهم اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال يجيء يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا

ليكاثربها اوليفاخرلقى الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو نعم وعسالك المكث عندك فى الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله و انت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت فى غفلة وعسالك تاسف على مافاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح لاقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه و بلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على الحزن على مافاتك ومحاسب بفرحك فى الدنيا اذا قدرت عليها وانت تفرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعسالك يعنى بامور دنياك اضعاف مايعنى بامور اخرتك وعسالك ان مصيبتك فى معاصيك فى انتقاص دينك اهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعسالك تبذل للناس ماجمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا وعسالك ترضى المخلوقين بمساخط الله كيما تكرم و تعظم ويحك فكان احتقار الله لك فى القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك عسالك تخفى من المخلوقين مساويك ولاتكترث باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة فى الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الالباب وهذه المثالب فيك اف لك تتلوث فى الاقذار تحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغنى انهم كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لاباس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصى فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سياتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لاتقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل فتورهم و نومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين مافاتهم من الدنيا ونهمتهم مازوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولامعهم فى الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى العلو عند الله وفريق امثالكم فى السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى

دهرهم او تحسب انك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغنى ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام افتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكيدة من الشيطان ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال من اجترا على الشبهات يوشك ان يقع فى الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لايكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لاتدرى ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلاتتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسائلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ماسرنى ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لانى غنى عن مقامى يوم القيمة فيقول عبدى من اين اكتسبت وفى اى شئ انفقت فهولاء المتقون كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لايقوم خير المال بشره وانت من نفاية الامة والحلال فى دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال فى دهرك ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنا قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق فى امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة من العيش ولاتجمع المال لاعمال البر ولاتتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه واله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام فانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه فى حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال فانفقه فى حلال فيقال له قف لعلك اضررت فى طلب هذا الشئ مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت فى شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقال لا يارب كسبت من حلال وانفقت منه

في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت في حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما افترضته علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسائلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب بهذه المحاسبة فكيف تراه يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بليغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتبر بذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه واله وسلم لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام يا قوم فاستبقوا السباق مع المخففين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كما وجل المتقون ويحك فان تخلفت في القيمة عن المصطفى صلى الله عليه واله وسلم لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وامن من روعات يوم القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله واروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم شغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة

والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك صلى الله عليه واله وسلم وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر بما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة الماوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والفخر والتكاثر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنا ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثلي اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله لي ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوة في الجماعة الا الجمعة فتنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها

وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرءاه كتاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك فقال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال ارياني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ادى رايا فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه واله و سلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله تعالى فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فساله ان يقبل منه صدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جاء بها الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفى ثعلبة بعد خلافة عمر فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنا اثر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران بن حصين ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم ادخل قالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا

واشار

واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لا اقدر على طعام اكله فقد اضرني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران

فقال

اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء عليهم السلام واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذا اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا افراغ مع اشتغال البال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم صلى الله عليه واله وسلم فقال اكون معك واصحبك فانطلقا حتى اتيا الى شاطي نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى صلوات الله عليه فجمع ترابا او كثيبا قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثا ثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا

قال

اثلاثاقال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء في هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال نفعل وقال الآخران لاي شيء نجعل لهذا ثلثا ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى صلوات الله عليه في تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال مالي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال له لو كانت لي اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالي لا اراكم على الحالة التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يؤت منهما الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض فلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم يوجد له طعم كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقالوا يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتى فلما راى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى

قد

[Margin notes: المال — عـ مالى أراكم — شيا — عـ الاطعام]

قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على افات الغنا مع ما قدمناه من قبل والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه ·

هذا اخر كتاب ذم المال
من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في
احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله
كتاب ذم الجاه والرياء
الحمد لله اولا و
اخرا

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفى فانه المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكائدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم يقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله وبعباداته المرضية وانما حيوته بهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وحسن الحال والاقبال واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال واثبت اسمه في جريدة

المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من نفس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطريق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول في حب الجاه والشهرة** وفيه بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها ينشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي عليه السلام تبذل لا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علي ما تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فتبعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الردية اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر لا اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة

الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن ملك وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه واله وسلم الا ادلكم على اهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه واله وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه او يساله درهما لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاه اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فبينا هم في دعائهم اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من خوف الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع محمد بن سويد صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر والعلانية وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك قال ثم بعد معناه اشار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من

اوسط خلقك فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه واله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه واله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه واله وسلم لعلي عليه السلام انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن عبد الله بن مسكان قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وعنه عليه السلام قال ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعنه عليه السلام من اراد الرياسة هلك وعن ابي الربيع الشامي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال لي ويحك يا ابا الربيع لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا ولا تاكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل فينا ما لا نقول في انفسنا فانك موقوف ومسئول لا محالة فان كنت صادقا صدقناك وان كنت كاذبا كذبناك وعن محمد بن مسلم قال سمعت ابا عبد الله ع يقول اترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى والله وان شراركم من احب ان يوطأ عقبه انه لا بد من كذاب او عاجز الراي وفي الصحيح عن معمر بن خلاد عن ابي الحسن الرضا عليه السلام انه ذكر رجلا فقال انه يحب الرياسة فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها باضر في دين المسلم من الرياسة

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدنانير والدراهم اي يقدر عليهما ليتوصل

الزرب

هلاك

بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار و يستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه طالب الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون يتسخر له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلوب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها يعظم محلها في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سكون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمنكح ولا لمطعم ولا لملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات وكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوسل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار

والقدرة على استسخارها تفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة الى المال ومن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض للتوى والتلف لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم يتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما يغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال دائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او عقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد

التي يعلم قطعا انه قط لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او يسروه بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والاخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف ما لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني وصفه الله تعالى اذ قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له

بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في ربوبيته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فلا يكون معا فاذا معنى الربوبية التفرد في الوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليه قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال مشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فبان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ بها الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيه كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع او كمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه

يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقلد الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح والاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم منزلتها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيها من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من صفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله لانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال صلى الله عليه واله وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب لكون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية وكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق

ولا نهاية للمقدرات

العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه باتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى الثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير ويزول وكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينهما من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات يتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله سبحانه لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى فاما ما عداها ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة فيه اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرها ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي

تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال الله عز وجل قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله هذا الحكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى الة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فاذا دفع اثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لانه حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كانت وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا وكمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنياوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة

التامة

الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالمال والجاه وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق الله من الدنيا فيمكن ان يتزود منه الى الاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام وكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل

بيت الماء ولا يلد ولا يعتد به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها وهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتي فان قلت طلب الجاه والمنزلة في قلب استاده وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او مباح الى حد مخصوص او على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح فهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضها الذم ونفرتها منه

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب **الاول** وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه انه طويل القامة ابيض

اللون فان هذا النوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذة فاذا اشعرت به لم تخل حدوث الشعور عن حدوث اللذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وسكونا وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاده عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة ولهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان في نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد **فهذه** الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد يفترق فتنقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان

المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم بخلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفى وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على وجه الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له وتكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الى غيرها من الآيات فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه محترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مرددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع

اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط عن اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهاج الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم او لم تكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه

ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة **بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم** اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي تمدح بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة يستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا يستحق بها الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعرض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بها فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفاتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه

وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان افة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناها في كتاب افة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في قلبه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار ما لو صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه واله وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال لهم الا لا تمادحوا واذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ولهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان علاج كراهة الذم** قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصد الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك لك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذا ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو في

النعت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل انتفعت انت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفترى عليك بما انت برئ منه عند الله فينبغى ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما ستر الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكرها انت برئ منه والثانى ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك وكانه رماك بعيب انت برئ منه وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى يقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله جل وعز واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغى ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغى ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم انى ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببى ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك فى قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغى ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس فى المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذه حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب الحالة الثانية ان يتمعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده فى المادح وان لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية فى قلبه من موت

الذام

الذام وان لا يكون غمه لمصيبة المادح وما ينا له من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن فى قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى اكثر مما ارتكبه الذام فى مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يتبغض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده على ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع تفوت عليه الدنيا ويخسر فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيوبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روى فى بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع فى الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهره بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد ان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر ان نسوى بينهما فى الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه فى سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة فى هذا الزمان ان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب فيها درجات اما الدرجات فى المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء

انتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فانه لا يدري فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل له ليتوصل الى نيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور غلبه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به واذا سمع الذم لم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا يتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح والاظهار الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعات وبعدها وهي احد عشر فصلا

بيان ذم الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات** فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله وغير ذلك **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص فان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى صلوات الله عليه اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت ما يبكيك

قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فضربها اوتاد الارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذاب الحديد ثم امر الله تعالى الماء باطفاء النار وامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة

وزكوة

وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا من سوء خلقك في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تخرق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت احدا اكثر تلاوة للقران من معاذ للحذر مما في هذا الحديث وقال علي عليه السلم للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وعنه عليه السلام

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد به وباسناده قال قال امير المؤمنين عليه السلام ثلث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد في كل اموره وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وعن ابيه الباقر عليه السلام قال الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وعن الصادق عليه السلام انه قال لعباد بن كثير البصري في المسجد ويلك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له وعنه عليه السلام اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد الى الله وعنه عليه السلام كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وعنه عليه السلام قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وعنه عليه السلام قال من اراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه وعن الرضا عليه السلام قال لمحمد بن عرفة ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ويحك ما عمل احد عملا الا رداه الله به ان خيرا فخير وان شرا فشر قال ابو حامد **واما الآثار** راى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم ليعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر ويرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا

اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارذاء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل وكيف قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة الرياء وما يراءى به** اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة المنزلة بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعها خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين العبد به للناس فهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة ولذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات والرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الارق في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى صلى الله عليه وسلم اذا صام احدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين في البدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء

اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من نصف الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه انه متبع السنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرائى به انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه وهو خال من العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له فى الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة النازلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوطة الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة اثوابهم قيمة ثياب الاغنياء وهيئته ولونه لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس ثوب الدبيقى والكتان الرقيق الابيض او القصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب فى زى اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمرایاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيل وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس عن تلك الثياب ما لم يبالغوا فى الزينة **الثالث** الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال فى المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالته على شدة العناية باقوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس بالمعاصي وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق

على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمرایاتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء بالعمل كمراياة المصلى بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات بالمشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع استحى من ان يخالف مشيته فى الخلوة لمشيته بمراى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلواته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملاء لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمرایاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يزور عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهى بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائى به المراؤن وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة فى قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة فى ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة فى ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه فى اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال فى الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر

الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته و وينتجز الحوائج على يديه فيقوم له به جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء.

فصل فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشر وكانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم من محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لو قصد قاصد ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فاذن المراياة بما ليس من العبادات

قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراياة ليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احديهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعبادة وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان تمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفك لملاحظة جارية من جواري الملك او غلاما من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذا لم تقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت به عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراياة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري لو قصد غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون

لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان يشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا فى صدقته وصلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل ما نقلناه فى الاثار ههنا على انه لا اجر فيه اصلا **بيان درجات الرياء** اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب واضعف او مساويا لارادة العباد فتكون الدرجات اربعا **الدرجة الاولى** وهى اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذى يصلى بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى بنفسه لما اداها فهذه من الدرجة العليا من الرياء **الدرجة الثانية** ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم **الدرجة الثالثة** ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وكان كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجوان يسلم راسا برا س لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه فى كتاب الاخلاص **الدرجة الرابعة** ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم والذى نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثانى** المرايا به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلث درجات **الدرجة الاولى** الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو

الذى

الذى ذكره الله تعالى فى كتابه مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الاسلام ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل من الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهولاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هولاء هو اشد من حال الكفار المجاهدين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الدرجة الثانية** الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل فى يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان فى يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو فى جمع فيصلى معهم وعادته ترك الصلوة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة فى الثواب ولكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى محمدتهم اشد من رغبته فى ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد **الدرجة الثالثة** ان لا يرائى بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكن يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة فى الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة ونحو ذلك فقد يفعل المرائى جملة ذلك من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله لان الذى قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هى

فان الذى قبله

الرياء باصول العبادات **القسم الثاني** الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محاله وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا كمالا لعبادة الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كان صلوتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم واستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة الثانية** ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في شهر رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه **الدرجة الثالثة** ان يرائي بزيادات خارجة

عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم **الركن الثالث** المراءا له فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات **الدرجة الاولى** وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء والاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او تسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون في مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من غلام او امراة وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هولاء وان كان دونهم من هو مقترف بجريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى **الدرجة الثانية** ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم او عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الدرجة الثالثة** ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس

الصعدا، واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون النوافل ويتهجدون او يصومون التطوع او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلى بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في اليوم الذي يصام فيه تطوعا فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجلهم او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبثين فانه يرائي انه صائم ثم يرائي انه مخلص ليس بمرائي وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعباداته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب شفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا تسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن واما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهي اشد من المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر تزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهال بافات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء خفي وجلي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه لو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي بمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره

ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولو لا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت وتيبيس الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينبسطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان وان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي عليه السلام انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم تكن يقضى لكم الحوائج وفي الحديث الاخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك يروى عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه وقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيمة

وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه

باخلاصهم على ملأ من الخلق واذ علموا ان الله لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا اشد حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم والصبيان الرضع اوغابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا ولو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب رياء خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احوالهم فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله عليه يستر المعصية ويظهر الطاعة فلا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر اخرا واجر السر بما قصد اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخائل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزء به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان

يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرا بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله اياه ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه اقول ويدل على هذا ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وقد روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه ابو حامد في موضع اخر وقال ههنا نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الاثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد روى عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة قال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال لرجل قال صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ من العمل مبطلا للثواب بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ فان ذلك مبطل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ عن الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور ولا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه واله العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروى من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله

وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منها منفرد فما يطرا يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرا ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والاقيس ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام **اقول** وقد اسلفنا ما يدل على ذلك من النص **قال** واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان تفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالصة ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فليرجع اليه **فهذا** حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعده **القسم الثالث** الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى يسلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص النظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه

اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعاله زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة الاحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك في من اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رآه الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه ايضا نجسا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وهيهنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان في صلوة يقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان واما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر بالصلوة في اصل الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخرها الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد من القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها

في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتميز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الأول

في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل يرجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا يئس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم وكذلك قد يترك السؤال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل وكل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما

يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى به على رؤس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزات بنظر الله تعالى وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيات فيرجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كانت مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب ويخطئ واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص

لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مرائي ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحبّبه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبت ذلك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود وفي زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنة والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء **واما الدواء العملي** فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعدها فلم ترخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا بعض دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين فان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقط نفسه من اعين المخلوقين واستحقر مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل

يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال لنفسه ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك واي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل في آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيمة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء ايضا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقويهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشتغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاءة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان ومهما انسي المعرفة لم يظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة وكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى ذكره الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون عليه الحجة اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد يحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة

وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا وعظم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوة فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغمر القلب وتميله وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استيثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال او قد وجدتموها قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من نفسك والكراهة من الايمان ومن اثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح القلب في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله عز وجل فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم للقلب وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج نقصان في السلوك **الثانية** ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه

الى قتال قطاع الطريق والتعريج صح

ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد ما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله عز وجل واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء قال والله لاغيظن من امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه فائدة وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم لمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر بالثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ومر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الورود ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان فايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا وان كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم واخلوا منها قلوبهم بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره

عياض

قيل من امره صح

فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة للشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيرهم ولا ينجوا احد من الخطر فيه والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر منه حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله تعالى فان من الحب له امتثال امره وقد امرنا بالحذر من العدو كما امرنا بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فان لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قيل صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله عنه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسايط مسخرة كما ذكرناه في كتاب التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يودي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين امرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا الذكر كنا قد اهملنا ذكر الله

قها

تعالى فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان فاما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى فلا يخفى غلطها وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يودي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان نظفر به ولا نقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقدر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فليشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغ الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذ كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد امات منه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وبين ذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب اخر فيطول تعبه ولا تجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل المجرى الماء القذر سدا وملأه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومونة وزيادة تعب

بيان الرخص في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الرياء قال بعض السلف قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر في التحدث بما عمل

القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر

من اتبعه ثم يجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد فكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا تكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يوذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فهي افضل من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الريا لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احديهما ان يظهره حيث يعلم ان يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به اهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة وعلى من هو في محل الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه

لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد اخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون فالحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت من جميع الافات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مرائي عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال بعضهم عليك بعمل العلانية قيل وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال اخر ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر

ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي اما الصادق الذي لا يرائي فيجوز له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه واله وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه الله وهذا ينشا من قوة الايمان لكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشتغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة وبهذه العلة ينبغي ايضا ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث تاذي طبعه به فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذنب ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عن رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا اذ اكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالتورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم فانه مولم فحب الحمد على الطاعات طلب ثواب لطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان

وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع الخامس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه السادس مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر والحياء هو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بالخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يفسق فيستره ويستحي الا ان الحياء ممتزج بالرياء يشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مرائي انه يستحي وان سبب تحسينه للعبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديقه قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحي من رده ويعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء وينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى على هذه الصفة فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال السرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص يهيج الحياء باخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه لمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدوء او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض

الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس ولامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد يشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان يستحي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف والقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب **السابع** ان يخاف من اظهار ذنبه سقوط وقع المعاصي من النفس وجرأتها عليها فان النفس متى الفت ظهور الذنوب تادى بها الى انهماكها واسترسلت في شهواتها **الثامن** ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستهزئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة هي الجارية في اظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه واله وسلم دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلواتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحب ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة احدها ما يدخل قبل العمل فتبعث على

الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تنخوين بالعمل لاجله وتنخوين بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه ليشتغل بالعمل **الثانية** ان ينبعث لاجل الله ولكن يعرض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول **الثالثة** ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت دعاك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعته بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مرائي وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل لخوفه فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال له خلصها من التراب ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا له انه مرائي فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مرائي هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مرائي او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مرائي وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وانه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزع العدو ونازع الطبع فان ذلك ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت

تريد بحمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراءٍ فاعلم كذبه لما تصادف قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه و حيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لابد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى و بالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه واله وسلم اول من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط احدهم وقال ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل منهم وقال اقرب الناس مني يوم القيمة امام عادل اقول لما كانت الخلافة عندنا انما تكون منصوصة من الله عز وجل مخصوصة بالامام المعصوم المطهر من الرجز وشوائب النفس التي منها تهييج الرياء ولا يدعيها بعده الا المشرك الذي احبط بشركه جميع اعماله برواسا فلا حاجة بنا الى الكلام فيها من حيث تطرق الرياء اليها فلنطوه وقد نقل ابو حامد عن شيخه في هذا المقام من القول والفعل ما نقل قال واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه واله وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تاخذهم لومة لائم ومهما كانت السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح به نفسه فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار اقول

ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال اتقوا الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي او وصي نبي وعنه عليه السلام قال قال امير المومنين عليه السلام لشريح يا شريح قد جلست مجلسا لا يجلسه الا نبي او وصي او شقي وعنه عليه السلام قال القضاة اربعة ثلثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة قال ابو حامد واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فافته ايضا عظيمة مثل افة الولاية وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي اقول وقد اسلفنا كلاما عن مولانا الصادق عليه السلام في الفتوى في كتاب العلم من ربع العبادات قال والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فافيضها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان يرتاض نفسه ويقوى في الدين منته ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها اضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل

وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشتغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع بعضهم والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فنقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قالت امن على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته واما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين ولا تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى صلى الله عليه وآله وسلم يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا ينقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس احسن منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان يقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ويدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوءاتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس

رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون **فصل** فان قلت فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن اتم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم افة انما الافة في اظهاره للتصدي بالوعظ والدرس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد من نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء واما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلوة وهو له كاره فلا يترك الصلوة لان افة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة كالعلم وبالجملة فالمراتب ثلث الاولى الولايات والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلوة والصوم والحج والصدقة وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر فيهم الترك لخوف الافة وذلك لضعف الافة الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة المرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والافات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات والصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس فالافات فيها ايضا كثيرة وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل لانه خير متعد كالنكاح وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن ذكر الله وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر وقال قوم اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الافات فاما من يتعرض لافات الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات

والاحسان يعمل ويدفع الافات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تستلذ الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الافة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر او الكسب من الحلال وانفاقه في الخيرات وذلك لما في الكسب من الافات واما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهي ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فيقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير وتمكنه من التمتع بزوجته والمحادثة مع اهله واقاربه والاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبته في الخير وحصلت اسباب باعثة على الخير لمشاهدة اياهم وقد اقبلوا على الله عز وجل واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة فيتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع

او سبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم ويضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وانما تسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه الصوم فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان تسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت نفسه بها فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليتركه فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر للانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون سبب تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد تبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى لكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة للرياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون فلا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك

وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القران او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة تكون بمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجددت هذه الداعية فهي الريا وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون اصل الانين من الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة من الريا وهو محظور لانها في حكم الابتدا بمجرد الريا فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الريا فيقبله فيدعوه الى زيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت بخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الريا وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد يكون ابتدا السقوط عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم يكن غشيته صحيحة ولو كانت لدامت ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكى على غيره حالة المشي يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكيدة الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روى عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ فراى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ اذكر الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الريا الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك

خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة النفر الذين حاجوا ايوب اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي ويقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظة على رثاء الناس من نفسي مضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي عليه باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيأتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة نفر لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم بالرد فهذه جمل افات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه وفي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة المراقبة والتفقد وليس يدرك الا بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزمه قلبه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اول ما يلزم المريد قلبه في ساير اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب قلبه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء ويقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظيم عمله ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الاباد وعظيم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره تحبب اليهم وسقوط عند الله واحباط العمل العظيم فيقول وكيف ابيع هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان يايس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي

لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لايخلو فرائضه عن النقصان و الحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمه وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيات ولايمكن ذلك الابخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح به على سياته فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لايتحدث به ولايظهره فاذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده فيجوز ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية مامقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لافي ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل افسد برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك اجدر بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط و رجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او تردد منه في حاجته فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع نفعه ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه الذي علمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لايحبط ذلك اجره اذ كان لاينتظره ولايريده منه ولايستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلما يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لايقف معهم من قرا عليه اية من كتاب الله او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط ذلك اجره فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى

وثوابه

وثوابه ونيل المنزلة عنده لاعند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطاء لان ارادته غير الله بطاعته خسران في الحال والمعلم ربما يفيده وربما لايفيده فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جايز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى و يعبد لله تعالى ويخدم المعلم لله لاليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا بان لايعبدوا الا الله ولايريدوا بطاعتهم غيره وكذلك كل من يخدم ابويه لاينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضاء الله في رضاء الوالدين ولايجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولايخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم لمحله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى يتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سهولته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لايدري انه المخفف للعمل عليه وقال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت ياسمعان منذكم انت في صومعتك هذه فقال منذ سبعين سنة فقلت فما طعامك فقال ياحنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج في قلبك حتى يكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك فقلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الى الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا ياحنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به ونحن احق به فقالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال ياحنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لاتعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده اقبل على ربك ودع الذهاب والجية والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لايشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا له عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهية ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه

وانه لوكان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل و الايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا يبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا بخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامات الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له لذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورئاء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان يظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رئاء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضره من الخشوع عنده ما لا يحضره عند الفقير ومكايد النفس وخباياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب

الادوية المرة فيصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه في كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لكثرة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رضي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار الذبول والنحول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق جميعا خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الاباد ثم علم ان الله رحيم لم يزل بعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته ولله الحمد والمنة. هذا اخر كتاب ذم الجاه والرياء من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ذم الكبر والعجب. والحمد لله اولا واخرا

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الكبير الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل مستكبر في جناب عزه مستكين متواضع فهو القاهر الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن النبيين وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن صفة كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من الكتاب شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ان شاء الله تعالى **الشطر الاول من الكتاب في الكبر** وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وافته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به الكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

بيان ذم الكبر قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى ان الله لا يحب المتكبرين وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان وعنه صلى الله عليه واله وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما

القيته في جهنم وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه واله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه واله وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه واله وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال اني امركما باثنتين وانهيكما عن اثنتين انهيكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهما كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وامركما بسبحان الله وبحمده فانهما صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه واله وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا في الاخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارين المتشدقين فمن المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه واله وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال وعصارة اهل النار وعنه صلى الله عليه واله وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعنه صلى الله عليه واله وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله سبحانه ان يسكنه كل جبار وعنه صلى الله

عليه واله وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه واله وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال صلى الله عليه واله وسلم من فارق روحه جسده وهو بري من ثلثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وعنه عليه السلام العز ازار الله والكبر رداؤه فمن تناول شيئا منه اكبه الله في جهنم وعنه وعن ابي عبد الله عليهما السلام قالا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وعن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر قال فاسترجعت فقال ما لك تسترجع قلت لما سمعت منك فقال ليس حيث تذهب انما اعني الجحود انما هو الجحود وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق قال قلت ما غمص الخلق وسفه الحق قال يجهل الحق ويطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه وعنه عليه السلام قال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وساله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وعنه عليه السلام قال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وعن عمر بن يزيد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انني اكل الطعام الطيب واشم الريح الطيبة واركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام فترى في هذا شيئا من التجبر فلا افعله فاطرق ابو عبد الله عليه السلام ثم قال انما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق قال عمر فقلت اما الحق فلا اجهله والغمص لا ادري ما هو قال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار وعنه عليه السلام قال ان يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عز الملك فلم ينزل اليه فهبط جبرئيل عليه فقال يا يوسف ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء فقال يوسف يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي قال نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل الى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي وعنه عليه السلام قال ما من عبد الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال اعظم الناس في نفسه وهو اصغر الناس في اعين الناس فاذا تواضع رفعها الله ثم قال له انتعش نعشك الله فلا يزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس وعنه عليه السلام قال ما من احد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه وفي لفظ اخر ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك جبار ومقل مختال

بيان ذم الاختيال واظهار اثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه واله وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه واله وسلم من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه واله وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وروى ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال له يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين جنبيك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع **بيان فضيلة التواضع** قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذلة والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المزني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه في الارض وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة تتكره بها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على فخذه ثم قال له اطعم وكان رجل من قريش اشماز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم خيرني ربي بين امرين ان اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا

واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي و الزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه واله وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه واله وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عيسى عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد يقشر فجعل لا يجلس الى جنب احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه واله وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه واله وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال ارسل النجاشي الى جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال فقال جعفر فاشفقنا منه حين رايناه على تلك الحال فلما راى ما بنا وتغير وجوهنا قال الحمد لله الذي نصر محمدا واقر عيني الا ابشركم فقلت بلى ايها الملك فقال انه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من عيوني هناك فاخبرني ان الله تعالى قد نصر نبيه محمدا صلى الله عليه واله وسلم واهلك عدوه واسر فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك لكاني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر ايها الملك فمالي اراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان فقال يا جعفر انا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده ان يحدثوا له تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة فلما احدث الله لي نعمة محمد صلى الله عليه واله وسلم احدثت لله هذا التواضع فلما بلغ النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو يزيد صاحبه عزا

فاعفوا

فاعفوا يعزكم الله وعنه عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعنه عليه السلام قال افطر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عشية خميس في مسجد قبا فقال هل من شراب فاتاه اوس بن خولى الانصاري بعس مخيض بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه لا اشربه ولا احرمه ولكن اتواضع لله فانه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وفي رواية من اكثر ذكر الله اظله الله في جنته وعن ابي جعفر عليه السلام انه اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان يكون عبدا رسولا او ملكا رسولا قال فنظر الى جبرئيل عليه السلام واومى بيده ان تواضع فقال عبدا رسولا فقال الرسول مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئا قال ومعه مفاتيح خزائن الارض وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان يا موسى اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك قال فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم اجد فيهم احدا اذل لي نفسا منك يا موسى انك اذا صليت وضعت خدك على التراب او قال على الارض وعنه عليه السلام قال مر علي بن الحسين عليه السلام على المجذمين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعنه عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال له ابو عبد الله عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم وعنه عليه السلام قال فيما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كما اقرب الناس الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وعنه عليه السلام من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى وعنه عليه السلام ان من التواضع ان يجلس الرجل دون شرفه وعن ابي بصير قال دخلت على ابي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها ابو عبد الله عليه السلام فقلت له جعلت فداك ذبحت كبشا ونحر فلان بدنة فقال يا ابا محمد ان نوحا كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة مامورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلى سبيلها نوح فاوحى الله تعالى الى الجبال اني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجوجوها الجبل قال فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالسريانية رب اصلح قال فظننت ان ابا الحسن عليه السلام عرض بنفسه وعن ابي

الحسن عليه السلام قال التواضع ان تعطى الناس ما تحب ان تعطاه وفي حديث اخر قال التواضع درجات منها ان يعرف الرجل قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب ان ياتى الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان راى سيئة دراها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقايق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا ياتين الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله تعالى وفي تفسير الامام ابي محمد الحسن بن على العسكرى عليه السلام اعرف الناس بحقوق اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شانا ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة على بن ابي طالب عليه السلام حقا وقيل ورد على امير المؤمنين عليه السلام اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل لييبس وماء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي قال اقعد واغسل فان الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها فقعد الرجل فقال على عليه السلام اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله تعالى حتى جازاك عنه بان ندبني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئنا كما كنت تفعل لو كان الصاب عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يابى ان يساوى بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن قال الحسن بن على عليهما السلام فمن اتبع عليا عليه السلام فهو الشيعى حقا **فضل** قال ابو حامد الاثار سئل الفضيل عن التواضع فقال

هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته منه وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه ان ليس لك عليه بدنياك فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا او ثناء او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلتها بالاستكانة اتممتها عليك وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وقيل ارفع ما يكون العبد المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ما يكون عند نفسه وعن الفتح بن شخرف قال رايت على بن ابي طالب عليه السلام في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا تواضع لكل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ الكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وتفاخرت قريش عند سلمان رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم **بيان حقيقة الكبر وآفته** اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن والباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال

ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة ينفخ فيه فيحصل في قلبه اعتزاز وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال بعض خلفاء النبي صلى الله عليه واله وسلم اخشى ان ينتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح وكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ويسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدر نفسه بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه من نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان كبره اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته ويتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وافته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم افته وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار

وقد ذلك التعير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه

حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعز النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى قوله وكنتم عن اياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال والذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القران عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتكبر الا ترون انه من يتشمخ براسه الى السقف شجه ومن يطاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس **بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه** اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلثة اقسام **الاول** التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان لنمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم

في قلب المتواضع ولا تعمر

داخرين وقال الله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعززا النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس و ذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بتكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا فقالوا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام يا فرعون امن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال له هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد واستنكف من عبودية الله عز وجل ومن اتباع موسى صلوات الله عليه وقالت قريش لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه واله وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل عنوا عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه واله وسلم محقا ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر عن قبول امر الله والتواضع لرسوله صلى الله عليه واله وسلم القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى

الترفع

الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلى لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي استرذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره و الاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل المملكة الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله ويتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله ويتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال صلى الله عليه واله وسلم لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر فقيل ما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا للتعبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان مبدأه الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك على التكبر على امر الله فكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه افة من افات الكبر على العباد

عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه واله وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله وخير منه وهذه الآفة الاولى وقوله سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واستحقر اخاه فازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أبى ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيها استنكره كأنهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخافه على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد خوفا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب عنه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان

لها حتى امتلأ به امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فيحولونه على قدر هممهم واهوائهم فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ومن اجل ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه واله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قيل لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقوله سيأتي زمان على الناس من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه **الثاني** العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز

الكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدنيا والدين اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم و التوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرنا في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدرى لخلق الله مغتر بالله امن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه مرتفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روى ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكانت على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قيل يحيى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى لصاحب الصوف الفضل ولا يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذ استبعد ان يغفر الله له و لا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة لبعضهم الى ان يتحدى و يقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله ما اراد به الا اشفاء غيظه والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم

فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم ان الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لاستراح الناس وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه واله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه واله وسلم واصحابه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطبها ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه واله وسلم التقوى هيهنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه واله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك

من المؤمنين وهولاء الذين يظهرون اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخفت حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال العوالى والمقامات والتشمير لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد مَن هو وما عمله ومن اين زهده فيطيل اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول انى لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القران كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجرى مجراه هذا يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا ان يقال غيره اعبد منه واقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقايق رايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيته وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يُغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم العربية ليعرف بها عن الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه احسن منه واعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه يا ليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه و سمع قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله عز وجل قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا او علما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موالى وعبيد ويانف من مجالستهم ومخالطتهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا رومي من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجرى مجراه وذلك عرق دقيق في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا او

عاقلا الا انه قد يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه واله وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم يا اباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابوذر فاضطجعتُ وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطا وجهل فانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روى ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر كل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال صلى الله عليه واله وسلم ليدعن قوم الفخر باباءهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدعق بانافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجرى اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عايشة انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه واله وسلم فلما خرجت فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم قد اغتبتها وهذا منشاؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك في الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدى ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوى اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنا واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بافة الغنا وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الاية السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان والعشيرة والاقارب و

البنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة قدرته ومعرفته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له** اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهو ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او لبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى انه لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع لفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد

ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه كان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فيتكبر ايضا عند الخلو به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر الى المتكبرين **بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر** اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصنعته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه في حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي صلى الله عليه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكانوا اذا راوه لا يقومون له لما لا يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه واله وسلم بجنبه ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه ومنها ان لا ياخذ متاعا ويحمله الى بيته وهذا خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يفعل ذلك وقال علي عليه السلم لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته

فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم البذاذة من الايمان قيل هي الدون من اللباس وعوتب علي عليه السلام في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخله عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه واله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرء حبب الي الجمال ماترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه واله وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موروثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحمود الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه واله وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الافضل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ماترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء

ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما بكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها كل هذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطا فيه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي فقالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من اخلاقه صلى الله عليه واله وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محله صلى الله عليه واله وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدنيا والدين فلا عزة ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك لما عوتب بعض الصحابة في بذاذة هيئته قال انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام فلا نطلب العز في غيره وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه واله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلوة ولا صوم ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضات الله بصبر بخير وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه

ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وبحبهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يحركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله و اشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فقال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك ان ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فاذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بشيء حب الله تعالى وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه و ازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما **اما العلمي** فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة و اما معرفته نفسه فكذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان ذلك في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول فاي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته

الصديقين

قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعم الله عليه كيف نقله من تلك القلة والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهتديا بعد الضلالة وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وتكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه وبستبشع

الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك ما بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاولى نطفة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميما ورفاتا وياكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان وتكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر به البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان اول مرة امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه من هول هذا الخطاب من قبل ان تنشر الصحف ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذه حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا وخنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه

الذي يسقاه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد لها فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو منتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من معه في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر **واما العلاج العملي** فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملة ما فيها التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء فكان ربما يسقط من يد احد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه واله وسلم على ذلك ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول به كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت

المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **السبب الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل: لئن فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا

في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لوكان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت انما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينته حتى صار حماء مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحماء ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه بهما ثم ان كان ذلك يوجب رفعة بالاب لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته فاذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفضله من النطفة فلا اصل له ولا فضل له وهذا غاية خسة النسب والاصل يوطا بالاقدام والفضل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم تزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عنده نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي بخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذه حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب ويتعاطى الدم بالحجامة وغيرها لكان يعلم بخسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني** الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من الفضائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعتين بيده يتردد الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال التوسط وفي اوله خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج في مجاري الاقذار اذ خرج من صلب

ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض وجدري وقرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها **السبب الثالث** التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي انسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة تسبقك البهائم فيها **السبب الرابع والخامس** الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك اليهود به واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبها ان ابقاها بقيت وان استرجعها زالت وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك فلا بد ان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك

يخشى ان يعاقبه وينكل به لافراطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقى لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى ان من هذه حاله هل يفتخر بقدرته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذه حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون من التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جدير بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب السادس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قيل للعلم طغيان كطغيان الماء وقيل العالم اذا زل زل بزلته عالم كثير فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي وان آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته فيكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا أخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا وكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي

ان يكون اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا أكل كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوء حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده باموره فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس الحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب اليم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدري في اي فرقة يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وهو علم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارق كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله جل وعز وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه فهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق والمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله عز وجل فكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكبر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر

الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الان فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الاخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوف لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية واوعدوا بان تضرب رقابهم لم يتعرضوا لتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد منهم هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت كيف لا ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع والفاسق اذا امرتهما بالمعروف ونهيتهما عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم له بالخير ويختم لك بالسوء حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان

يغضب عليه مهما ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر له عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدره عند الله في الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك يغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ اجرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عند الله اقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بغض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العالم فان قال العابد ذلك العالم العامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا ينبغي ان يكون العالم يرى نفسه فوق العابد بقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان

يتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة من القلة نعم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل و الشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغى ان يتكبر عليه اوذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقادا الباطل والوسوسة فى صفات الله وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى ان يكون قريبا عندك وان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى تكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هى افضل منه وارفع وفرقة هى شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادرى لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر فذلك شر لى الا من فيما اظهر من الطاعة ان تكون دخلها الافات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلى بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى ان عابدا اوى الى جبل فقيل له فى النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسئله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب ويتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتى فى النوم ثانيا فقيل له ائت الاسكاف فقيل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لى انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اى يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها وقال الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا فى اهلنا مشفقين

وقد وصف الله الملائكه مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى ان يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى ان يكمل المعرفة بالعمل ويجرب نفسه باعمال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمسة امتحانات هى ادلة على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **فالامتحان الاول** ان يناظر فى مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما من حيث العمل فبان يكلف نفسه ما يثقل عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة ويثقل فى الملاء فليس فيه كبر وانما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بان منفعته فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه ذلك فى الخلوة والملاء جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثانى فليعالج كلى الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثانى** ان يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزائله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهى ان يجلس فى صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع و هو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم انما تركوا امكانهم بالاستحقاق و التفضل

فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يتقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء التكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر ورياء وان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر فان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكات له ان لم يتدارك اقول ليس كل رياء مذموما بل قد يكون مستحبا بل واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص فلا بد من مراعاة ذلك روي في الكافي عن الصادق عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوا علي ذلك مع ان جده امير المؤمنين عليه السلام كان يفعل مثله الا انه لما لم يعيبوا عليه بمثله في زمانه وفي شانه جاز له ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما قال ابو حامد وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثيابا بذة فان نفور النفس من ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة في خلق التواضع** اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا و

مذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوسطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي انه وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتخلى له مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى الباب خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش من الآخر وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذموم واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور في مواضعها وعلى ما يجب وعلى ما يعرف من ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان خلق الكبر **الشطر الثاني من الكتاب في العجب** وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وآفته** اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار وقال الله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه

نعليك نفسك وقال صلى الله عليه واله وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى والموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فبهذا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبرءوها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر من هذا ان العجب مذموم جدا **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله تعالى علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب ابدا وعنه عليه السلام قال من دخله العجب هلك وعنه عليه السلام قال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلام قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلوتك فقال مثلي يسال عن صلوته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن احدهما عليهما السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بينا موسى جالس اذ اقبل ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنا منه خلع البرنس وقام الى موسى عليه السلام فسلم عليه فقال له موسى عليه السلام من انت فقال انا ابليس قال انت فلا قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله تعالى قال فقال له موسى عليه السلام فما هذا البرنس قال اختطف به قلوب بني ادم فقال له موسى فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين الا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وفي مفتاح الشريعة قال الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له

والمدعي من غير حق كاذب وان خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على نفسه لتكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد من ان يثمر

بيان آفات العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد فاما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها ولا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب برايه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه

بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة له في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده فيما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفساق و يتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه **اقول** وفي الكافي عن علي بن سويد عن ابي الحسن عليه السلام قال سالته عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا ويعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المنة **بيان علاج العجب على الجملة** اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا مدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما

سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها واني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما وهو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل هو خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل و العلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقديره في كتاب

الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة وماهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود علمك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت انك لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قرب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها اكان اعجابك باعطاء الخازن المفتاح او بما اليك من مد اليد اليه واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد اليه لاخذ المال قريب وانما الشان كله في تسليم المفتاح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب ممن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اقران السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى ومنعتني وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي وهلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي عليه السلام حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه

من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع منه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص به مثل هذا القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال مع الفقر وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا يخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم قالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم لاصحابه ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال **بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه** اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو معرضة للزوال في كل حال وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في

التراب وانتنت فی القبور بحیث استقذرتها الطباع الثانی القوة والبطش کما حکی عن قوم عاد حین قالوا فیما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وکما اتکل عوج علی قوته فاعجب بها فاقتلع جبلا لیطبقه علی عسکر موسی علیه السلام فثقب الله تعالی تلک القطعة من الجبل حتی صارت فی عنقه وقد یتکل المؤمن ایضا علی قوته کما روی عن سلیمان علیه السلام انه قال لاطوفن اللیلة علی مائة امراة تلد کل امراة غلاما الحدیث ولم یقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد ویورث العجب بالقوة الهجوم فی الحروب والقاء النفس فی التهلکة والمبادرة الی الضرب والقتل لمن قصده بالسوء وعلاجه ما ذکرناه وهو ان یعلم ان حمی یوم یضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالی بادنی آفة یسلطها علیه الثالث العجب بالعقل والکیاسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدین والدنیا وثمرته الاستبداد بالرای وترک المشورة واستجهال الناس المخالفین له ولرایه ویخرج الی قلة الاصغاء الی اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرای والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان یشکر الله علی ما رزقه من العقل ویتفکر انه بادنی مرض یصیب دماغه کیف یوسوس ویجن بحیث یضحک الناس منه ولا یامن ان یسلب عقله ان اعجب به ولم یقم بشکره ولیستقصر عقله وعلمه ولیعلم انه ما اوتی من العلم الا قلیلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اکثر مما علمه فکیف بما لم یعرفه الناس من علم الله تعالی وان یتهم عقله وینظر الی الحمقی کیف یعجبون بعقولهم ویضحک الناس منهم فیحذر ان یکون منهم وهو لا یدری فان قاصر العقل قط لا یعلم قصور عقله فینبغی ان یعرف مقدار عقله من غیره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من یداهنه یثنی علیه فیزیده عجبا وهو لا یظن بنفسه الا الخیر ولا یفطن بجهل نفسه فیزداد به عجبا الرابع العجب بالنسب الشریف کعجب الهاشمیة حتی یظن بعضهم انه ینجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ویتخیل بعضهم ان جمیع الخلق لهم موالی وعبید وعلاجه ان یعلم انه مهما خالف آباءه فی افعالهم واخلاقهم فظن انه یلحق بهم فقد جهل وان اقتدی بآبائه فما کان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء علی النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فلیشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فی النسب وشارکهم فی القبائل من لم یؤمن بالله فکانوا عند الله شرا من الکلاب واخس من الخنازیر ولذلک قال الله تعالی یا ایها الناس انا خلقناکم من ذکر وانثی ای لا تفاوت فی انسابکم لاجتماعکم الی اصل واحد ثم ذکر فائدة النسب فقال وجعلناکم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بین ان الشرف بالتقوی لا بالنسب فقال ان اکرمکم عند الله اتقیکم ولما قیل لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من اشرف الناس من اکیس الناس لم یقل من ینتمی الی نسبی ولکن قال اکثرهم للموت ذکرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآیة حین اذن بلال یوم الفتح علی الکعبة فقال الحارث بن

هشام وسهیل بن عمرو وخالد بن اسید هذا العبد الاسود یؤذن فقال الله تعالی ان اکرمکم عند الله اتقیکم وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم ان الله قد اذهب عنکم عیبة الجاهلیة ای کبرها کلکم بنو آدم وآدم من تراب وقال صلی الله علیه وآله وسلم یا معشر قریش لا یأتی الناس بالاعمال یوم القیمة وتأتونی بالدنیا تحملونها علی رقابکم وتقولون یا محمد یا محمد فاقول هکذا ای اعرض عنکم فبین انهم ان مالوا الی الدنیا لم ینفعهم نسب قریش ولما نزل قوله تعالی وانذر عشیرتک الاقربین ناداهم بطنا بعد بطن حتی قال یا فاطمة بنت محمد یا صفیة بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسکما فانی لا اغنی عنکما من الله شیئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقویه وقد کان من عادة آبائه التواضع فان اقتدی بهم فی التقوی والتواضع والا کان طاعنا فی نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمی الیه ولم یشبههم فی التواضع والتقوی والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعد قوله لفاطمة وصفیة انی لا اغنی عنکما من الله شیئا الا ان لکما رحما سابلها ببلالها وقال صلی الله علیه وآله وسلم اترجو سلیم شفاعتی ولا یرجوها بنو عبد المطلب وذلک یدل علی انه سیخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان کل مسلم منتظر شفاعة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم والنسب ایضا جدیر بان یرجوها ولکن بشرط ان یتقی الله ویخاف ان یغضب علیه فلا یاذن لاحد فی شفاعته فان الذنوب منقسمة الی ما یوجب المقت فلا یؤذن فی الشفاعة فیه والی ما یعفی عنه بسبب الشفاعة کالذنوب عند ملوک الدنیا فان کل ذی مکانة عند الملک لا یقدر علی الشفاعة فی من اشتد علیه غضب الملک فمن الذنوب ما لا ینجی منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالی ولا یشفعون الا لمن ارتضی وبقوله من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضی له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعین واذا انقسمت الذنوب الی ما یشفع فیه والی ما لا یشفع فیه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو کان کل ذی ذنب یقبل منه الشفاعة لما امر قریشا بالطاعة ولما نهاهم عن المعصیة فالانهماک فی الذنوب وترک التقوی اعتمادا علی الشفاعة یضاهی انهماک المریض فی شهوته اعتمادا علی طبیب حاذق قریب مشفق من اب او اخ او غیره وذلک جهل فان سعی الطبیب وهمته وحذقه ینفع فی ازالة بعض الامراض لا فی کلها فلا یجوز ترک الحمیة مطلقا اعتمادا علی مجرد الطب بل للطب اثر علی الجملة ولکن فی الامراض الخفیفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهکذا ینبغی ان یفهم عنایة الشفعاء من الانبیاء والصلحاء الاقارب والاجانب وانه کذلک قطعا وذلک لا یزیل الخوف والحذر الخامس العجب بنسب السلاطین الظلمة واعوانهم دون نسب الدین والعلم وهذا غایة الجهل وعلاجه ان یتفکر فی مخازیهم وما جری لهم من الظلم علی عباد الله والفساد

فى دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم فى النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرا من الانتساب اليهم ولانكر على من ينسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم فى مظالم العباد لتبرا الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احسن اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب من قلة وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر وهو ان يتفكر فى ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاي خير فيمن يفارقك فى اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال صلى الله عليه واله وسلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر فى افات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى قوله صلى الله عليه واله وسلم بينما رجل يتبختر فى حلة له مشية قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وجميع ما ذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالراى الخطا قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه واله

ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة وبذلك هلك الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراى الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة او دليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير فى الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم ان لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف اقول بل يتبع سنة ائمة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم وسلامه خاصة دون غيرهم من السلف كما عرفت غير مرة قال ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل بل يقول امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل فى عمره بشىء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى المعرفة واليقين فى اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا نسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال هذا اخر كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الغرور منه والحمد لله اولا واخرا و ظاهرا وباطنا

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة يتوالى على ممر الدهور وكر الساعات والشهور وسلم

اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدور بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم ينفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة

على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من المداخل التي لا يتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وامثلته

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور كاف في ذم الغرور وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملأ الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي غره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد هاهنا امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار

فمنهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وابقى وبقوله والآخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه

كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء، فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسية وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير فان كان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسية والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسية وهذا غرور منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسية اراد به خيرا من نسية هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي اقتناص الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي عليه السلام لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن تكلم الملحد

على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء، وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء، فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء، وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم مستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء، ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد به الامر الذي هو الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه

عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه امر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى طبعى ذاتى الا ان تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى امور يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضربهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبها وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يرفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم وامرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا مغرورون فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبى صلى الله عليه واله وسلم للاعرابى الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة فى جميع كتب الله منوط بالايمان مع العمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال المغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل فى التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت

قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا فى الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا فى الجنة لا تفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لى فى الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت انقاضاه فلم يقض فقلت انى اخذه فى الاخرة فقال لى اذا صرت فى الاخرة فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الايات وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه الشيطان فى قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن فى المستقبل ايضا كما قال الشاعر كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى فانما يقيس المستقبل على الماضى برابطة الكرامة والحب اذ يقول لولا انى كريم عند الله ومحبوب لما احسن الى والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون عند الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمى عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبلت عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت الدنيا عليهم

ظنوا انها كرامة من الله واذا صرفت عنهم ظنوا انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور وقيل كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه في جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلى الله عليه واله وسلم وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فمن امن به خلص ونجا من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين وقال يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا وكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يحذر ذلك في حق الله مع تحذيره باستدراجه اولى فاذا من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثاني** هو غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم بالرجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين فان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته

وانا موحدون ومومنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله تعالى قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم استغفر لابيه فلم ينفعه ذلك فهذا ايضا اغترار بالله لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لكان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه والتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب **فان قلت** فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته وما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب **فاعلم** ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه واله وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعا ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يومن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل

الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان لا يثاب عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت الزرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى اما سمعتم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور وكما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب الذي لا يعرفه فهو مغرور لا محالة والثاني ان تفتر نفسه من فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا وجب على

العبـ

يستعمل يتخوف

العبد ان تستعمل الخوف فتخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجا قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذاك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه واله وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الناس امنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ما ذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وبما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب اي علماء ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال او الحرام ويكون ما يتناول من اموال

المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان كل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان تميل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون واوعد الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها وقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقاء المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه والتدبر مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف الصنف الاول اهل العلم

والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغترون وانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهو علم لا يراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هؤلاء كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها

الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه فكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرأها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكيها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى الا بعدا وقال صلى الله عليه واله وسلم يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا وقال صلى الله عليه واله وسلم شر الناس العلماء السوء وقال صلى الله عليه واله وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان تحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله تعالى اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكيد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله كمن اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله

عرضه وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس بجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به ملتطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفة فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه فهو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين **وفرقة اخرى** احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه واله وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه واله وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء

ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن **وفرقة اخرى** علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بها العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به ونسي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن السلف من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب بعضهم في بذاذة زيه فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب الدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه ان ذلك من الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الان فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وبعلمه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب اخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه

ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم واما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلثة امور احدها في انه مال لا مالك له وانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء ونهاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسمه بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان مال كل واحد قد اختلط بمال الآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء ومتابعيهم والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت مثل هؤلاء انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت على فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخرى** احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجليلة القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خدائع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته قد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا

التفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتوكل والتمكن من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر والامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد لما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع ولئن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصحابه اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد من نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من ابن ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل من طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او بغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه

وتنجيعها وتحسين نظمها لئلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترتيبها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكما وضع ثلثماية وستين مصحفا في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلوب وخفاياها ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه حسده ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فعند ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من الافات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيها لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال وهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش فخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهولاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر

من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل بتكراره وحفظه وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير او البرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والريا وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض كفاية دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة نبيه وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوي لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي به يحصل الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هولاء من اقتصر عن علم الفقه على الخلافيات

ولم يبق الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية وهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذا شتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذاهب وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فهي انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل فغرور هولاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة والضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فراى الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يتفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا مقرب عند الله فلهذا النظر الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهمل نفسه وقلبه حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة وهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعزة الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرته ولم يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه واله وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات

والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخائل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلتزموا الملاحة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا النبي صلى الله عليه واله وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلسه مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة ولم يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطاء في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجاهدتها ومجادلتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى لي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا

انه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو امن من مكر الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله عز وجل وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا ولو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه نفسه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم لو ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل ترى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في الاخرة في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها الحديث كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء لانهم يصادفون من قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس كلامهم فيها الا لاتصافهم بها

ذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب وظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذا حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القران والاخبار وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلدان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن السبيل ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام الزهاد من اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العاليه و

احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغروره من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها وقد يفهمون بعضها ايضا فلا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عينهم وهو معرفة معالجة القلوب ويشتغلون بكثرة الاستنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان ايضا انهم لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهولاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث ونسخ والشيخ الذي يقرا عليه لو صحف او غير ما يقرا عليه لم يشعر ولم يعرف وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيحفظه كما يسمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سمعته من الصحابة والتابعين وصار سماعك من الراوي كسماع من يسمع من رسول الله وهو ان تصغي وتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو اخطا علمت خطاه وحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظ كتابك حتى لا يصل اليه يد من تغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس الذي قرات فيه ثم رايت نسخة لذلك جوزت ان يكون ما فيه مغيرا او تفارق حرفا من النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واول شرط السماع ان يجري الجميع على

ولو غير غيرك منه حرفا

سمعك مع نوع من الحفظ يشعر بالتغير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم الذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا هو اخبث انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس من علمهم بل من علماء اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هولاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى ربما يكفيه الحديث الواحد عمرا كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه واله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفي هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا كان سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هولاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل عرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في معرفة لغة الترك والهند وانما فارقهم لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى ففضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين

على انه ليس شرط الان نوع سموده بدنه وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين

ليزيل ما به من الصفراء فيضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يحفظ فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والافات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصود فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم وكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذه مقصودا وعرج اليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق ولساق تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيمة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في

تحصيل

تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان ان يوخذ الا بطيبة النفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل ما يوخذ على هذا الوجه فهو حرام اذ طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيره الا اذا خلي الانسان واختياره حتى ينبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان تضطر دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في اخر الحول من زوجته وهبتها ما لها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه واله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طرق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت للحاجة اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملانا فيه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم في الصوم ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا من غرور الا الاكياس

وقليل ما هم ومنهم فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى الاكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها ايضا فهو ايضا مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور للاسراف في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدع الشيطان حتى يعقد نيته صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم وفرقة اخرى يغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الهم الى فهم اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان فامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان يقام عليه السياسة فيرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذا وربما يختمون في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي

فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امر به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث نظمه ومعانيه او بصوته وفرقة منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق عن الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذمائم الصفات لم يقدم تطهير قلبه على حضور بيت ربه وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه فاذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز والجاه واذا باشر هو بنفسه منكرا فرد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره فاذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزحمني على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد ولو تقدم غيره ولو كان اورع منه واعلم ثقل عليه وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرف ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذكر ذلك قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرف الناس بذلك ثم انه يجاور

ويمد عين طمعه الى اوساخ اموال الناس فاذا جمع من ذلك شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة ولكن مع التصنع بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال ولا عبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها بغير معرفة فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء العلوم فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب **وفرقة اخرى** تزهدت وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب وهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يعرف معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذ خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الباطن لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران فيه وهو مع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك فربما توهم انه مغفور له بعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته فهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه بالرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح فرحا شديدا وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن

تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلوة الليل وسائر الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه واله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقيل له من ابر قال امك ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك ثم ادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج فهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو في نفسه طاعة وكذلك تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لمصير الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا انه حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة والقهر للاقران والتقديم عليهم يعمي عليهم حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة هم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع

والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيات اقول واى فضل وكرامة للصادقين من الصوفية حتى يكون للمتشبهين بهم فضل وغرورهم فان اكثرهم من اهل البدع من السماع والرقص والجهر من القول في الدعاء وغير ذلك قال فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين يثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامرت بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر الى ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وباستحقاق اهل حضرته بالتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليثخنها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب **وفرقة اخرى** زادت على هولاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضاء بالدون وارادت ان يتظاهر بالتصوف ولم يجد بدا من التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم فظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لوّنوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتاده هولاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش

ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هولاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة اذ يظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات المحمودة والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين ولم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى** وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلفوا الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل كلفوا تاديبهما بحيث ينقادكل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة الى حب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجتهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم الصالح للاقتداء ولاحصاء اصنافهم يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حد هولاء واحسنت الاعمال وطلب الحلال واشتغلت بتفقد القلب

صارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلى لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات من الكتاب

وفرقة اخرى ضيقت على انفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلوب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك ولم يدر المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا رضي بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور

وفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظنون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة واية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة

وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل

بالتفتيش عن عوائق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه

وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا بسلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها و التفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك

وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى وظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلوات الله عليه اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراه في الصغر ويعلم انها ليست الهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم عليه السلام لما راى ملكوت السموات حيث قال عز وجل وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة وهو كالساتر له فاذا تجلى نوره

وانكشف فيه جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترااى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر ❊ فتشابها وتشاكل الامر ❊ فكانما خمر ولا قدح ❊ وكانما قدح ولا خمر ❊ وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مراة او في ماء فيظن ان الكوكب في المراة او في الماء فيمد اليد اليه لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى بنا تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورث ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن في ذكره فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما يسمعه من قبل والله اعلم

الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال كسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها او برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت الاموال من

الحلال

الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثنا فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة لاعينهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو بذلك تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قيل دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فبهذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل عليه السلام فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما ياخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما يتركون جيرانهم جايعين ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال عزمت على الحج فقام بشر فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال فاي شيء تبتغي بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضاء الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على

يقين من مرضاة الله اتفعل ذلك قال نعم قال فاذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي دينه وفقير تلم شعثه ومعيل تحيي عياله ومربي يتيم تفرحه وان قوي قلبك ان تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد الى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل والختم للقران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية فمتى يحتاج الى السكنجبين **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات النية ومحبطات العمل وصاحبه مغرور ويظن انه يطيع الله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره وهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا تحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال او الفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لحملها على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره اذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر احدهم بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما دخلته رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما جرى او الجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا وكل وعظ لم يغير

منك

منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا **فصل** فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس منه واستعظم الامر فيه واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده عنه فانزله واذا اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار فاصعده واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المنطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها واراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج الترياق واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقوش من ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي كل ذلك لانه اهمه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو اصبح وهمه هذا الهم الواحد احتال له بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا اذا لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل

يارسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المرضى ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما يجزى على قدر عقله وقد اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقالوا خيرا فقال صلى الله عليه واله وسلم كيف عقله فقالوا يارسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ ذلك قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون

اقول وقد اسلفنا اخبارا من طريق اهل البيت عليهم السلام في ذلك في كتاب العقل من ربع العبادات

قال والذكاء وشدة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وهي مضرة له وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس ووصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فنستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضاء الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله تعالى

وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذ باذن الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة فتصح فيه النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله عز وجل فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه ويأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرأ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فيذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اسرع زمان يقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليهم دواؤهم

وانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه ويعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم فصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة في من رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبرا الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر من بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك باستغفار وتنفس صعدا وربما زاد في الاعمال والاوراد من اجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رايهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركك لها وانما ذلك خدعة وغرور بل هي جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تابى نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله مثال من يرى جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر و تغطى راس البئر بحجرة كبيرة فعجز وا عن الترقي من البئر بسببها فرق قلبه لاخوانه فجاء برفع الحجر من راس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه اوكفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لامحالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه اوكفاه فرح بذلك ولم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم لما كان ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان

كرهت

الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يوده لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى وينظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه بعين الحمد والثناء فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا من الوعظ وخربت القلوب فاقول وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب و الابدان جميعا الا انه صلى الله عليه واله وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح و ذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات التي سلطت على الناس فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي بقول الله وبقول رسوله ان ذلك حرام فانظر الى نفسك وكن فارغ القلب عن حديث النفس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر واقوام لا خلاق لهم في الاخرة فانما يخشى ان ينسد باب طريق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ وعدلهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد بهذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح ورعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمها وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلتّ مني بذكائك

وكال عقلك وقد قدمت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدمت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التيقظ لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب فلذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعملك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والرياء وسوء الخلق والالتفات الى العز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير امن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب الاولياء ابدا اسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها اقول ولنختم الكتاب بكلام الصادق عليه السلام على ما روي عنه في كتاب مصباح الشريعة قال عليه الصلوة والسلام المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مامولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن

مضمرات

مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان تميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة هذا اخر الكلام في كتاب ذم الغرور وتمامه تم ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى في ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله اولا واخرا

وظاهرا وباطنا

هذه صورة ما خط الوالد العلامة نعم الله درجته واعلى مقامه على نسخة الاصل التي استنسخت هذه النسخة منها فرغ من تسويده مؤلفه اقل العباد عملا واكثرهم زللا واعظمهم رجاء واملا المسمى الملقب بمحسن محمد بن مرتضى الكاشاني احسن الله حاله وجبر بلطفه اختلاله وختم بالباقيات الصالحات اعماله والحمد لله والصلوة على النبي محمد واله في اواخر شهر صفر من شهور سنة سبع واربعين بعد الالف الهجرية والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

استنسخت هذا الكتاب المستطاب بارباعه الاربعة وكتبه الاربعين من نسخة الاصل التي كتبها الوالد المصنف بكد اليمين وعرق الجبين ثم مررت عليها من اخرها قراءة على قراءة تصحيح وتوضيح وتبيين وعرضها على تلك النسخة الشريفة عرض تنقيح وتهذيب وتدبير تذكرة لمن اهله الله لتمييز الغث من السمين وليكونوا داعين لكل من سعى [illegible] وتصحيحه راجين لاعطاء كل ذي حق حقه وكتب الفقير الى الله في كل طرفة عين [illegible] محمد المدعو علم الهدى ابن محمد المحسن ابن مرتضى جعله الله ممن نصر فانتصر واتعظ بالعبر حامدا لله على اياديه المتواترة المتكاثرة التي لا يطيق شكرا دناها عباده من كان احمد واشكر ولا يبلغ احد من شكره غاية الا حصل عليه من احسانه ما يلزمه شكر اخر مصليا على انبيائه واصفيائه سيما محمد وعترته الطاهرة خير العترة داعيا لجميع من سلم لهم واتم بهم وائتمر مستغفرا من الذنوب التي اجترحها فيما سلف وغبر [illegible] فيما بقي وغبر وانها لكفاية منها الى عنايته في كل صغير وكبير مستطر فانه يجيب اذا دعاه المضطر فيرد ما شرد ويضم ما انتشر

مناجاة منسوبة الى زين العابدين عليه ازكى صلوات المصلين

الهى باى لسان اذكرك وباى وجه اتوجه اليك وباى راس اسجدلك وباى عين انظر اليك وباى سمع اسمع منك و
باى يد اخدمك وباى رجل امشى اليك وباى قلب احبك العبد عبدك والعبادة لك والتوفيق منك ما الحائل
بينى وبينك اللهم استثلى بجونك وخشيتك واحينى بنور معرفتك برحمتك يا ارحم الراحمين ٥